6me Année, No. 270

Lundi - 5 - 9 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٧٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٥٧ — ٥ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

حاشـــية على التفريع

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا كان الجسم الجميل هو الجسم الذى ليس به فضول ، فما هو الفضول الذى يعيب الأجسام ؟

الفضول في تعريف عاجل هو الزيادة عن الحاجة . ونعود فنسأل : ما هي الحاجة ؟ إن الجسم قد يحتاج إلى الصحة ، وقد يحتاج إلى الحركة ، وقد يحتاج إلى الظهور ، وقد يحتاج إلى الخفاء ، فكيف نعرف الحاجة التي يتعلق بها الفضول ثم يتعلق بها النظر إلى الجمال ؟

نقول في تعريف عاجل أيضاً : إن الحاجة هي إنجاز « الوظيفة الحية » في تكوين الأحياء

فالزرافة لها عنق طويل لا نستقبحه إذا رأينا هذا الحيوان ، ولكنا لو رأينا عنق الزرافة على جسم حصان لقلنا إنه حصان قبيح مشوه مختل التكوين ؛ والتشويه والجمال ضدان لا يجتمعان

يسأل سائل فيقول : إذن يرجع الجمال إلى المنفعة ؟ إذن نستطيع أن نقول إن العضو الجميل هو العضو النافع على وجه من الوجوه ؟

ونسرع فنقول : لا . إن الجسم النافع ليس هو الجسم الجميل في جميع الأحوال ، بدليل أن هناك حيواناً أجمل من حيوان ،

فلماذا يكون الحصان مثلا أجمل من الزرافة أو تكون الهرة مثلا أجمل من الفار إذا كان المرجع فى نظر الجمال إلى منفعة الأعضاء ؟

كل عضو فى حيوان فهو نافع لذلك الحيوان ، وعنق الزرافة نافع لها لأنها حيوان يعيش فى الغابة ويختار من لطائف الشجر كل ما ارتفع فى الأغصان . ولـكن لماذا كان عنق الحصان أجمل من عنق الزرافة ؟ ولماذا كان الحصان فى جملته أجمل من الزرافة فى جملتها ، وكانت حركة الحصان أجمل من حركة الزرافة فى السرعة أو المهل ؟

ذلك أن مرجع الأمر فى نظر الجمال إلى شيء غير المنفعة للحيوان أو لمن يستخدم ذلك الحيوان

مرجع الأمر إلى الحرية كما بينا فى مقالات كثيرة سبقنا بنشرها قبل سنوات

فـكلما كان الجسم أقل ضرورة وأكثر حرية كان أقرب بذلك إلى الجمال ؛ وعنق الزرافة يقيدها بالغابة ، وليس هذا هو الشأن فى عنق الحصان فانه لا يقيده بمكان . فهو من ثم أجمل من الزرافة فى هذا الاعتبار

وإنما نرجع إلى « الوظيفة الحية » لنعلم أن الطول أو القصر فى جزء من أجزاء الحيوان ليس بطول تشويه ولا بقصر تشويه ، لأن التشويه والجمال لا يتفقان

فأنت إذا رأيت عنقا طويلا على كتفى زرافة لم تحسب أنها زرافة شائهة أو زرافة ممسوخة ؛ ولم يمنعك إذن مانع التشويه أن تحسبها « زرافة جميلة »

أما إذا رأيت هذا العنق كما هو على كتفى غزال ، فانك معتقد فيه المسخ والتشويه على البديهة ؛ ومعتقد من ثم أنه لن يكون على شيء من الجمال ، بل هو نقيض الجمال

* * *

على هذا المعنى كان جسم الرجل أجمل من جسم المرأة ، وإن صعب فهم هذا على بعض الأذواق التى تنساق بالغريزة إلى الغريزة ، دون النظر إلى جمال المعانى وجمال الأوضاع

فمن رأى جسم المرأة رأى لأول وهلة أنه جسم ملحوظ فيه ضرورات كثيرة ، وأنه منظور فيه إلى مخلوق آخر غير صاحبة الجسم التى لا تحتاج إلى ذلك التركيب ؛ وهذا المخلوق الآخر هو إما الجنين الذى تحمله فى أحشائها ، وإما الرجل الذى ينظر إليها نظرة الاستحسان

فاذا قلنا إن العضو الجميل هو عضو يحمل نفسه ويخيل إليك أنه غير محمول على سواه فالمرأة كلها محمولة على تركيب حيوان آخر منعزل عنها ، ولا بد أن يجور على ما فى تركيبهـا من معانى الجمال العليا

فيلاحظ فى أغلب أجسام النساء طول الجذع واتساع المسافة بين الحرقفتين ، وإنما يوجب ذلك أنها فى حاجة إلى مكان الجنين ومكان خروجه بعد تمام حمله ؛ وقل مثل ذلك فى النهدين والثديين ، أو قل شبيها بذلك فى ضيق الكتفين ؛ فان قصر الكتف وضعفها لا يضيرانها فى إنجاز وظائفها ، نعنى على هذا المعنى تنجز وظيفتها زيادة فى مواضع ونقص فى مواضع أخرى منظور فيها جميعا إلى تركيب خارج عن تركيبها ؛ ولن يبلغ الجسم حد الجمال الأقصى ما دام جمـاله معلقا على شيء غيره ؛ وما دام ذلك الشيء أولى بالملاحظة والتقديم فى بعض الأحوال

لهـذا يصعب التوفيق بين ضرورات الوظائف الحية وبين معانى الجمال المطلق فى جسم المرأة

فالمرأة التى يقصر جذعها ويضيق حوضها هى جسم جميل ؛ ولـكنها قد تجور بجمالها على أمومتها

والتوفيق بين الأمرين من أندر الأمور ، فى حين أن جسم الرجل لا يحتاج إلى صعوبة فى التوفيق بين إنجاز شرائط الأبوة فيه وإنجاز شرائط الجمال

ومع ندرة التوفيق بين الشرطين فى المرأة ، لاغنى عن التجوز والتسهل فى كثير من الأحوال ، فأقصر النساء جذعاً وأضيقهن حوضاً وأكلهن أكتافاً لا يحمد منها أن تلوح كالرجل فى تركيب هـذه الأعضاء ؛ ولابد من التجوز والتسهل فى بعض الزيادة على الردفين وبعض النقص على الـكتفين ، وإلا كان ضمور الردفين ضموراً تاماً علامة تشويه لا علامة جمال ، إذ كان الأصل فى المرأة أن لهـا وظيفة الحمل والولادة ، فاذا تجردت من هذه الوظيفة فهى مشوهة ، وإذا احتفظت بها فهى مرض ؛ ولاشك أن تكون عظام الردفين غير مكسوة باللحم الذى لابد منه لـكل جسم صحيح سليم

* * *

وعلى هـذا تكون المرأة جميلة ولا تكون قنطاراً واحداً لا زيادة عليه

تكون جميلة إذا قل فيها الفضول ولو زاد الوزن غاية ما يقدر له المزيد

وتكون مع ذلك « امرأة جميلة » وليست جميلة بمعانى الجمال على إطلاقها ؛ وهى كما أسلفنا القرب من الحرية والبعد من الضرورة؛ وأن يكون الجسم معلقاً على نفسه غير معلق على شروط فى خارجه، سواء صعبت أو سهلت فى التحصيل

ولابد من التجوز والتسهل على هذا الاعتبار فى حدود ما قدمناه

* * *

ويلحق بتفصيل ما قدمنا الجواب عن سؤال وجهه إلينا الأديب « عبد المنعم شلبي » يقول فيه :

« هل يعجز امرؤ القيس وهو ذلك الفنان البارع ذو الخيال الوثاب الذى استطاع أن يتذوق جمال الطبيعة ويترجم عنها فى قصائده عن رسم مثال للأنوثة موافق لمعانى الجمال بمعزل عن التهمة لتخلف الأوان ؟ وهل لتخلف الأوان دخل فى تقدير الجمال ؟ وإذا كان كذلك فما بالنا نرى تمثال فينوس مع تخلف أوانه رمزاً ومقياساً لمعاهد الجمال فى العصر الحديث ؟ »

والجواب أن أحيل الأديب صاحب السؤال إلى ما أسلفت عن سبب قصور امرئ القيس فى تعريف مقاييس الجمال ، فاننى لم أقل إنه يقصر فى هذا الباب لتخلف الأوان ثم سكت على ذلك؛ بل قلت إنه يقصر فيه « لتخلف الأوان وندرة الأسباب »

ومن الأسباب ولا جدال أن الأعراب فى البادية لم يصنعوا التماثيل كما صنعها اليونان الأقدمون أصحاب فينوس ، ولم يشغلوا عقولهم وأذواقهم وأخيلتهم بمطالب هذه الفنون ، وما تستتبعه من دراسة للأجسام ونظر فى تمثيل الأعضاء

وليذكر الأديب صاحب السؤال أن الله جل وعلا لم يغضب على المحدثين جميعا لأنهم محدثون ، بل خلق فيهم أناسا وهبهم « الفن والخيال والبراعة وأتاح لهم أن يتذوقوا جمال الطبيعة » .. فاذا تساوى ما بينهم وبين امرىء القيس فى هذه الناحية فهناك زيادة العصر الحديث بل زياداته التى يضيق بها الحصر فى مذاهب الفنون والأذواق والعلوم والأرقام

عباس محمود العقاد

عود ثابه

الدين والأخـــلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

ليسمح الأستاذ الغمراوى أن نؤكد له أن حرية القول فى الأدب الأوربى ولا سيما الحديث منه ما كانت لتؤثر فى أدباء اللغة العربية بمقدار ما أثرت، وما كانت تحتذى بمقدار ما احتذيت، لولا أن أدباء اللغة العربية تأثروا قبل اطلاعهم على الأدب الأوربى بحرية القول فى الأدب العربى، ولا سيما العباسى وما يليه؛ فالشاب الذى يُحثُّ على قراءة دواوين العرب وكتب الأدب ويستوعبها لابد أن يحتذيها فى صراحتها . ألا ترى أن السيد توفيق البكرى والشيخ شريف رأيا أن الأبيات التى أشرنا إليها فى المقالات الماضية أشياء غير مستنكر شرحها وطبعها ؟ فإذا كان شيوخ الدين والتربية يتأثرون هـذا الأدب العنوى المكشوف تأثراً لا يشعرون به ، ويجعله مألوفاً ألفة تمنع الاستنكار، فكيف لا يتأثره الشبان الذين لم تكن لهم سابقة الاشتغال بأمور الدين أو التربية، وربما اطلعوا عليه وهم فى سن المراهقة كما يفعل الفتيان والفتيات الذين يستعيرون كتب هذا الأدب من مكتبات مدارسهم . والقارئ المسن يستطيع أن يتذكر فورة شبابه أيام المراهقة ، ويستطيع أن يحكم كيف تؤثر قصائد ابن الرومى التى شرحهـا البكرى والشيخ شريف فى شهوة المراهق ، وكيف تؤثر الدواوين والكتب القديمة المشحونة بأمثال تلك القصائد . وانظر كيف يتغير نظر الشاب المراهق إلى اللائق وغير اللائق مما ينبغى أولا ينبغى الاطلاع عليه عندما يرى أن شيوخ الدين والتربية يعنون بشرح هذا الفحش ويطبعونه له ، وعندما يرى أن المدارس تحثه على قراءة الكتب التى طبع فيها وتؤنبه إذا لم يقرأها . ومعاذ الله أن نقول إن البكري أو الشيخ شريف أرادا بالشبان والفتيات شراً، إنهما فعلا ما فعلا على قاعدة أن لا حياء فى اللغة وأدب اللغة، وأن الفن يراد للفن لا لما به من الفحش، كمن يستجيد مثلا صنعة

أبي نواس البيانية في مجونه لا بسبب حبه للمجون بل لحبه للبيان والبديع. ولكن هل تلوم الشبان إذا تأثروا بهذا الأدب اللغوي المخالف للعرف والتقاليد والآداب والأخلاق الاسلامية وسن المراهقة له حوافز ودوافع؟

وإذا قرأ الشاب بعد ذلك بعض مجون شاعر أوربي كمجون هنري هيني الشاعر الألماني (وهو كلا مجون إذا قيس بما في كتب العرب) ألا يرى أن العالم كله الشرقي والغربي يبجل هذا الأدب اللغوي ويعنى بشرحه وطبعه، وإنه إذاً لا ضير عليه من احتذائه؟ وإذا قرأ بعد ذلك قصة عشيق الليدي شاترلي وجد مجوناً كمجون الفحش العربي ولو أنه كتب بطريقة تحليلية علمية أرق بعض الرق من فحش ماجني الدولة العباسية. ألا يرى القارئ أن تأثر الشاب بالأدب العربي مثل شعر بشار بن برد والحسن بن هانئ وغيرهما يسهل قبوله للأدب الأوربي الذي يشكو منه الأستاذ الغمراوي؟

لكن الأستاذ تجاهل تاريخ الأدب العربي القديم والحديث لكي يستطيع أن يبرهن على أن الأدب القديم غير مخالف للفضائل والآداب والأخلاق، وأن الأدب الجديد أو أدب المذهب الجديد مخالف للشهوات ومخالف للفضائل. والحقيقة أن هذا التقسيم غير حقيقي وغير منطقي، فأدب المذهب القديم به ما يراعى الفضائل والأخلاق وبه ما لا يراعيها، وأدب المذهب الجديد أيضاً به ما يراعى الفضائل وبه ما لا يراعيها سواء بسواء. فكان الأحجى بالأستاذ أن يقسم الأدب لا إلى مذهب قديم ومذهب جديد، بل إلى أدب فاضل وأدب إباحي في الأخلاق، ثم ينتقد الأقوال لا الأدباء جملة، لأن كل أديب أو شاعر قد يكون له ما يضمه الأستاذ في القسم الأول، وقد يكون له ما يضمه في القسم الثاني. أو لو أراد قصر مقاله على الرافعي لاستطاع أن يقول إن كل أدبه من أدب الفضائل من غير أن يتجاهل تاريخ أدب اللغة كله، ومن غير أن يحكم حكمين كل منهما جائر لما فيهما من التعميم الذي يخالف طبيعة العلماء أمثال الأستاذ، فان العلماء الباحثين ولا سيما علماء الكيمياء والطبيعة يتحرجون من إصدار أحكام عامة بسبب شواهد خاصة معدودة، فلا يقولون إن أدب المذهب القديم هو أدب الفضائل، وإن أدب المذهب الجديد هو أدب الرذائل على وجه التعميم

لكن الأستاذ الغمراوي عالم، فلا بد أن فطنته ومحثه قد أوصلاه إلى حقيقة أراد أن يفسرها فبالغ في تفسيرها واشتط وأصدر هذه الأحكام العامة. ومن أجل أن نتتبع تفكير الأستاذ ينبغي أن ننظر إلى الفرق الحقيقي في أدب المذهب القديم وأدب المذهب الجديد من حيث الروح. إن الأدب القديم وصل في عهده الأخير إلى أدب احتذاء لا أدب اجتهاد، ونعني بالاجتهاد الاصطلاح الفقهي لا المعنى اللغوي، فان نصيبه من الاجتهاد كبير إذا أريد المعنى اللغوي للاجتهاد. وهذا هو الفرق الحقيقي بين اجتهاد أدباء المذهب القديم واجتهاد أدباء المذهب الجديد؛ فالمذهب الجديد يريد بحث النفس وعواطفها وشرائعها وسننها، لا قصر البحث على شهواتها، ولا رغبة في إطلاق هذه الشهوات من عقالها كما يقول الأستاذ. فبحث النفس يقتضي بحث جانب الايمان منها كما يقتضي بحث جانب الشك؛ ولكنه الشك الذي يبعثه الايمان، وهو الشك الذي يبحث عن أمل للانسانية في هذه الحياة وبعد هذه الحياة، والذي يحاول أن يداوي شرور الحياة ما استطاع الانسان ذلك. وهذا الشك لا يستقيم لمن كان قلبه غير عامر بالايمان؛ والشاعر لا يكون شاعراً إلا بمثل هذا الايمان الملح المنيف الذي يريد أن يزكي نفسه. وهذا أول أسباب سوء الظن بهذا المذهب. وثانيها أن الاجتهاد شبه الفقهي في تفسير الحياة وعوامل النفس قد يشط أحياناً. وقد أقفل باب الاجتهاد في الفقه ولكن باب الاجتهاد في الفقه النفسي والفكري لم يقفله المذهب الجديد. فخصائص المذهب الجديد الروحية هذه أي الرغبة في بحث جوانب النفس والحياة واستئناف اجتهاد الفقه الفكري والروحي هي خصائص قد يشط معها الأديب في بعض الأحايين، ويكون شططه في عهد الصبا أكثر، إذ تكون خبرته قليلة واندفاعه عظيماً. ثم إن بعض الأدباء قد تشط بهم هذه الخصائص دائماً شططاً بعيداً؛ ومن أجل ذلك ليس من الحق أن نسلك جميع الأدباء في نظام واحد. ألا ترى أن الأدب الأوربي الحديث يشمل نزعات مختلفة كل الاختلاف منها ما يحدث صلة بينه، وبين الأدب الأوروبي في العصور السابقة، ومنها ما ينأى به عنها؟ فحكم الأستاذ الغمراوي على المذهب الجديد كمن يحكم حكماً عاماً واحداً على الأدب الأوربي الحديث على اختلاف نزعاته الذي يشبه اختلاف نزعات الأدب المصري الجديد من أجل أن أساس تلك النزعات واحد

وهو بحث التجارب النفسية والفكرية ؛ فمن الأدباء من يبحثها على طريقة المعري ، ومنهم من يبحثها على طريقة شكسبير ، ومنهم من يبحثها على طريقة أدباء الرمزية ... الخ . وكما أنه ليس من الحق أن يحكم الأستاذ حكماً عامًّا على أدباء المذهب القديم (وبينهم تفاوت في الروح)، ولا من الحق أن يحكم حكماً عامًّا على أدباء الأدب الجديد، فليس من الحق أن يحكم حكماً عامًّا على الشاعر أو الأديب الواحد ، فان الشاعر نفس وللنفس مظاهر مختلفة تقتضي تفصيل الحكم عليها ما دام لا يحكم على قول أو عمل واحد، أو عليها في حالة أو زمن خاص. وليس من الحق أيضاً أن يغفل الأستاذ أثر حرية القول في الأدب العربي الذي شرحناه في أول هذا المقال ، ولا من الحق ألا يرى أن حرية القول الناشئة من إطلاق الشاعر نفسه من القيود أثناء البحث شططاً منه لم يأت بأشنع من الأمثلة التي ذكرناها للأستاذ من الأدب العربي، بل لعلها أقل شناعة؛ وهي على أي حال ليست من لوازم أي مذهب، فمثلها في آداب العصور والأمم موجود، وواجب الناقد أن يميز بينها وبين الصالح من قول الأديب أو الشاعر . ومما يدل الأستاذ على أن الأدب المصري الحديث خليط من القديم والجديد أن أحدهما يلقى زميله فيسأله هل أنت من أنصار المذهب القديم أم من أنصار المذهب الجديد ؟ كأن الحكم ليس لما يؤلفه الأديب من شعر أو نثر، وكأنما يصح أن يكتب الأديب على طريقة المذهب الجديد ويختار أن يعد من أنصار القديم أو العكس . لكن هذا السؤال له معنى وقيمة؛ إذ هو دليل على الحيرة من أجل أن أدب كل أديب خليط من مؤثرات الأدب العربي في عصوره المختلفة والأدب الأوربي أيضاً؛ وإنما يختلف هذا الخليط عند كل واحد باختلاف مقادير عناصره. ومن الأسباب التي قد تدعو إلى سوء الظن بالأدب الجديد علاوة على ما ذكرنا، ما يقرأ منه أحياناً من سخر وتشاؤم، وقد يكون فيهما شطط؛ وقد يحسبان من قلة الإيمان، ولكنهما قد يكونان من الإيمان الحائر في وجوه الكون والحياة الذي لم يوهب نعمة الاستقرار، وهي حالة تعرض لكثير من النفوس فلا يستطاع تجنب وصفها كل التجنب . وإذا نظر الأستاذ إلى ما ينشر في الصحف والمجلات والكتب في جميع الأقطار العربية من شعر ونثر وجد في تباين أبواب القول الذي لم يترك جانباً من النفس والحياة لم يحاول نعته، ما يدل الأستاذ على أن هذا التنوع هو خصيصة الأدب الحديث، وهو يشمل ما يشكو منه الأستاذ، ولكنه أعم مما يشكو منه، وقد صار هذا التنوع في الأدب وشموله بحث نزعات النفس وجوانب الحياة قاعدة عامة في آداب العالم كله؛ ولا يمكن إعادة عقارب ساعة الزمن إلى ما كانت عليه في الماضي للقضاء على ما يشكو منه الأستاذ. فاذا أراد أن يظفر بتطهير الأدب كان الأحجى به ألا يتعصب لقديم ولا لجديد ، وأن يأخذ من الجديد على تنوع أغراضه وأبوابه ما لا بد منه لإشباع مطالب النفس والفكر في عصر تمددت فيه مطالبهما وأصبحت كمد النهر في فيضانه ، وألا ينتقد هذا الأدب الجديد بالجملة كي يصيب سامعاً مجيباً إذا هو قصر نقده على ما في هذا الأدب الجديد من شطط ، وأن يتخذ في نقده هذا الشطط طريقة التحليل النفسي والالمام بأسبابه ونتائجه وشواهده على طريقة الطبيب المداوي بالتحليل النفسي ، وألا يقصر نقده على شطط الجديد من غير نظر إلى شطط القديم ، وقد أوضحنا أن حرية القول في الأدب الجديد تمت بسبب إلى الأدب القديم سواء أكان ذلك في الغزل والأمور النفسية أم في الأمور الفكرية ، وليطهر كتب الأدب القديم وعاداته المألوفة من مجون وشطط فكري كما بينا

وإني لأربأ ببصيرة الأستاذ وعقله أن يظن كما يظن بعض الناس أن إسقاط أديب أو أكثر من أديب من أدباء المذهب الجديد يقضي على هذا المذهب . ولو كان من المستطاع القضاء على كل ما قاله أدباء المذهب الجديد من شعر أو نثر — الجيد منهما وغير الجيد والمقبول ، وغير المقبول — فان هذا القضاء على ما قاله المعاصرون لا يقضي على الأدب الجديد، لأن أسبابه أعم وأكبر من أن تحسب من ابتكار أديب أو أكثر من أديب . وربما كان من الحكمة أيضاً ألا ينسى الأستاذ وهو الخبير بالنفس الانسانية أن بعض العداء الذي لاقاه المذهب الجديد من غير المبرزين الفطاحل كان بسبب الاجادة المحمودة الأثورة المحسودة في بعض هذا الأدب الجديد، وإن كان عداء المبرزين الأفاضل أمثال الرافعي بسبب اختلاف حقيقي في الرأي والروح (قارىء)

سهو

ذكرت سهوا أن أبيات ابن الرومي في (كتاب صهاريج اللؤلؤ) والحقيقة أنها في كتاب (فحول البلاغة) لمؤلف نفسه أبي البكري ولا يوجد شرح ولكنه اختارها هي وقصيدة (بوران) ولم يكف عن اختيار المجون تحرجا . وكذلك لا يوجد شرح في الأرجوزة الأخرى ولكن عدم التحرج ملحوظ أيضا

بيجو *

للأستاذ عباس محمود العقاد

حُزناً على بيجُو تفيض الدموعْ
حزناً على بيجو تثور الضلوع
حزناً عليه جهدَ ما أستطيع
وإن حزناً بعد ذاك الولوع
والله — يا بيجو — لَحُزْن وجيع

* * *

حزناً عليه كلما لاح لى
بالليل فى ناحية المنزل
مُسامرى حيناً ومستقبِلى
وسابقى حيناً إلى مدخلى
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحفْ
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبى من أسف
ألاّ يصيب اليوم منها الهدف
ذلك خير من فؤاد صديع

* * *

حزناً عليه كلما عزّنى
صِدْقُ ذوى الألباب والألسن
وكلما فوجئت فى مأمنى
وكلما اطمأننت فى مسكنى
مستغنياً ، أو غانيا بالقنوع

* * *

وكلما ناديته ناسيا :
بيجو ! ولم أبصر به آتيا
مداعبا ، مبتهجا ، صاغيا
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صَدًى فيه ولا من سميع

نسيت ؟ لا . بل ليتنى قد نسيتْ
أحسبني ذاكرَه ما حييت
لو جاءنى نسيانه ما رضيت
بيجو مُعزِّىَّ إذا ما أسيت
بيجو مُناجىّ الأمين الوديع

* * *

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيجو الذي أرقب عند الرواح
بيجو الذى يزعجنى بالصياح
لو نبحةٌ منه ، وأين النباح ؟
ضيّعت فيها اليوم مالا يضيع

* * *

خطوته ... يا بَرْحَها من ألم !
يخدش بابى وهو ذاوى القدم
مستنجداً بى ... ويح ذاك البكم !
بنظرة أنطقَ من كل فم
يا طولَ ما ينظر !.. هذا فظيع !

* * *

نَمْ . لا أري النوم لعينى يطيبْ
أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قطمير هواكم عجيب
غاب سَنَا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا ... ولا مِن طلوع

* * *

نَمْ واترك الأفواج يوم الأحدْ
والبحر طاغٍ ، والمدى لا يحدْ
عيناى في ذاك ، وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبكيك . أبكيك وقلّ الجزاء !
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال : طعام وماء
لو صح هذا ماحضتَ الوفاء
لغائب عنك ... وطفل رضيع

(*) قد يذكره بعض حضرات القراء من مقال سابق فى الرسالة

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

٤ — وطني

كنت عند صديق لي شاب ذكي ، نال شهادة البكالوريا ، فلم يطف بها على دواوين الحكومة يستجدي (وظيفة) ويسأل (الخزينة) حسنة ، كما يفعل كل شاب في هذا البلد ، وإنما نزل إلى السوق ففتح للتجارة محلاً يعيش فيه سيداً عزيزاً ، على حين يعيش الموظفون مقيدين مسودين ، ويأكل خبزه بكسب يده على حين يأكله كثيرون بضمائرهم وأديانهم ، ويخدم أمته هادئاً صامتاً على حين يؤذي أمتهم كثيرون ، وهم يخطبون الخطب الوطنية ، ويملأون الدنيا كلاماً جميلاً ...

كنت عند هذا الصديق ، ومن دأبي أن أزوره كلما مللت العمل أو نزلت إلى البلد ، آنس به ، وأشرف من دكانه على الدنيا فأرى ما فيها ... فرأيت رجلاً يدخل عليه ، فيريه نماذج من البضائع يعرض عليه أن يكون وكيل معملها ، والمنفرد ببيعها لما سمع عنه من الثناء وما وصف له به من الذكاء والاستقامة ، ويخبره بالأثمان ، فيتهلل وجه صاحبي ، ويشرق فرحاً بهذه الأرباح التي سينالها ، ولكنه يتريث فيسأل الرجل أن يدع له البضاعة ويتركه ساعة يفكر ، ثم يعود إليه فيأخذ الجواب ...

فيمضي الرجل ، ويقبل عليّ صاحبي فيسر إليّ أن هذه الصفقة أجدى عليه من دكانه وما فيه ، فأهنئه وأتمنى له ما يتمنى لصديقه الصديق ، ولكنه لا يلبث أن يقلب البضاعة فيعلو وجهه الاشمئزاز ، ويبدو عليه الغضب . فأسأله : مالك يا صاحبي ؟

فقال : مالي ؟ إنها بضاعة صهيونية !

فقلت له : وماذا يعنيك منها ؟ أنت تاجر ، فبع من شاء أن يشتري ولا تدعُ إليها أحداً

قال : معاذ الله ! أأنا عدو وطني وديني ؟ إني تاجر ، ولكني أعلم أن على التاجر أن يخدم أمته من الناحية التي أقامه الله فيها كما يخدمها المعلم والموظف والصحفي ... وخدمة الأمة بأن تقدم لها منفعة في مالها أو أخلاقها أو أبنائها أو صحتها ، أو تدرأ عنها ضرراً . ليست خدمة الأمة بالجعجعة والصياح والخطب الدوية والمقالات الطنانة ؟

قلت : وهذا الربح الذي وصفته لي أترضى بأن تدعه لغيرك ؟

قال : من أراد أن يأخذ جمرة من جهنم فليفعل . أما أنا فلا أريد ، سيغنيني الله عنه

* * *

ولقيته بعد أيام ، فقلت : ما فعل الله بتلك الوكالة ؟

قال : رفضتها فعرضوها على أهل السوق فقبلها منهم فلان !

قلت : رئيس لجنة مقاطعة البضائع الصهيونية ؟

قال : نعم !

٥ — معصرة

كنت أسير في (دوما) قصبة الغوطة الشرقية ، فرأيت شارعها الأعظم (الذي يشقها شق شارع الرشيد مدينة بغداد) رأيته يمضي مستقيماً سوياً حتى إذا جاوز ثلثيها انحرف ذات اليمين وما ثمة مسجد يخشى عليه الهدم ، حتى ينحرف لأجله الشارع ولا أثر قيم ، ولا صخرة قائمة ، فعجبت وسألت صاحبي الذي كان يمشي معي

فقال : كان هنا في سالف الدهر معصرة لوجيه من الوجهاء لم يقدر على هدمها ، فلوى من أجلها الشارع !

فقلت : هذه هي مصيبتنا ! ولو أنها معصرة واحدة لاحتملت، ولكننا كلما خططنا في الحياة طريقاً مستقيماً اعترضتنا (معصرة) لوجيه من الوجهاء . فكم من (معصرة) في طريق القوانين والنظم ، وفي طريق العدالة والقضاء ؟

هل خلا طريق لنا من (معصرة) ؟ فمتى تهدم هذه (المعاصر) ؟

« دمشق » علي الطنطاوي

البحث عن غد

للكاتب الإنكليزي روم لاندو
للأستاذ علي حيدر الركابي

— ٣ —

الفجر في سورية

سورية وفرنسا

لقد قبل أهل لبنان الانتداب الفرنسي بلا مقاومة عنيفة، بينما بقي السوريون يعتبرونه حالة لا مبرر لها[1]. وقد عبروا عن كراهيتهم له بمقاومات مستمرة مشروعة وغير مشروعة. وكانت ثورة سنة ١٩٢٥ أبلغ هذه المقاومات أثراً، ولم ينجح الفرنسيون في قمعها إلا بعد عامين. وقد بدأت بعصيان قاده الزعيم الدرزي سلطان باشا الأطرش في جبل الدروز الواقع في الجنوب الشرقي من سورية. إلا أن هذا العصيان ما لبث أن توسع حتى عم البلاد كلها. وقد أدت هذه الثورة التي كانت سادس حركة تحريرية قام بها السوريون إلى ضرب الفرنسيين دمشق بالقنابل في شهر أكتوبر سنة ١٩٢٥ إذ ضربت مدافعهم بعض أحياء المدينة كما ألحقت الضرر الجسيم بكثير من الأماكن ذات الأهمية التاريخية مثل « الطريق المسمى بالمستقيم[2] »

وسار السوريون في جهادهم للحصول على حقوقهم الطبيعية إلى أن منحهم الفرنسيون عام ١٩٣٠ رئيساً للجمهورية ووزارة دستورية ومجلساً نيابياً. على أن الدستور الجديد لم يقض على سلطة المندوب السامي الواسعة، فهو ما زال يدير شئون سورية من مركزه في بيروت، كما أنه لم يخرج الجيش الفرنسي من البلاد. أما معاهدة سنة ١٩٣٦ التي ستوضع موضع التنفيذ بعد ثلاث سنوات من عقدها فهي تتعهد بمنح سورية استقلالها التام. والتحالف السوري الفرنسي بموجب هذه المعاهدة ليس مؤبداً كتحالف لبنان، بل هو موقت بخمس وعشرين سنة

يوجد بين الأهلين في مصر والعراق والسودان أناس يعترفون بفضل بريطانيا المغامي عليهم في الماضي، ولا يشعرون بكره نحو الأفراد البريطانيين. أما هنا فالعداوة بين السوريين والفرنسيين ذات صفة شخصية؛ وهي ليست موجهة ضد الأفراد الفرنسيين فحسب، بل إنها تتعداهم إلى أسرهم. وقد شرح لي أحد السوريين الشعور الذي يحمله أبناء وطنه بهذه العبارة: « إنني أحب فرنسا وأحترم الفرنسيين في بلادهم، ولكني أكرههم في بلادي التي باتت تئن من سوء إدارتهم »

إن أهم ما يتذمر منه السوريون هو أن فرنسا تسعى لجر المنافع المادية من وراء سورية. وهم يحملون الفرنسيين مسئولية تأخر سورية الاقتصادي منذ عام ١٩٢٠؛ وهم يتهمون موظفي فرنسا وجنودها باستعمال مراكزهم الرسمية لابتزاز المال. وقد قلت مرة لسوري: إن الرشوة وسوء الاستعمال هما عند الموظفين من التقاليد التي اشتهرت بها الادارة الوطنية. فأجاب: « من المحتمل أن تكون مصيباً في ملاحظتك؛ وأنا أؤكد لك أن الذين يؤمنون إيماناً صحيحاً بنزاهة موظفينا في عهد الاستقلال الآتي هم قليلون؛ ولكن إذا كان لامفر لنا من الخيانة فاننا نفضل أن تذهب الرشوة إلى جيوب السوريين دون جيوب الأجانب فان صرفها في بلادنا لأرجح من صرفها في فرنسا »

ويقال إن هناك سبباً آخر ذا علاقة بالأخلاق يزيد في موقف السوريين العدائي؛ فالأسرة تلعب دوراً مهماً في حياتهم، والفساد الجنسي عندهم أقل مما هو عليه عند الأكثرية من جيرانهم العرب، ولهذا فان معظم سكان سورية يعترضون بشدة على وجود الجنود الفرنسيين (الملونين) بينهم (French coloured troops). إن بقاء الجند الأجنبي في البلاد في أيام السلم لابد أن يأتي بنتائج مضرة، وخصوصاً إذا كانت جيوش الاحتلال منسوبة إلى أقوام يشتد عند أفرادها الميل الجنسي (highly sexed)

مشاكل ورعماء ومجاهدون

كنت أود الاطلاع على المشاكل التي سيكون لها أثر في حياة

---

(١) لقد رفع المؤتمر السوري القومي إلى مؤتمر الصلح في ٢ يوليه سنة ١٩١٩ مذكرة يقبل فيها بالدرجة الأولى حماية أمريكا لسورية على أن تأخذ شكل « مساعدة فنية واقتصادية » وبالدرجة الثانية حماية انجلترا إن لم تقبل أمريكا. أما فرنسا فقد أشارت إليها المذكرة بهذه العبارة: « إننا لا نعترف بأي حق تدعيه الحكومة الفرنسية في أي جزء من بلادنا السورية ونرفض مساعدتها لنا كما نرفض أن يكون لها أدنى علاقة ببلادنا في كل زمان ومكان. (المؤلف)

(٢) استعمل المؤلف تعبير (The Street called Straight) ولعله يقصد (سوق الطويل) المعروف بـ (سوق مدحت باشا) أو أنه مزج ما بين (عمود) و (عمودي) وأراد زقاق (سيدي عمود) ذا الأهمية التاريخية وقد دمرته قنابل الفرنسيين أثناء الثورة السورية (المترجم)

سورية المستقبلة ، ولهذا قصدت زيارة كل من : بطريرك الروم الأرثوذكس وهو رئيس أكبر طائفة مسيحية في سورية ، وفارس الخوري وهو من أكبر رجال السياسة في البلاد ، والدكتور الكيالي وزير المعارف وعميد الجامعة، وفخري البارودي زعيم الشباب السوري وهو السياسي الذي يحتل المكانة الأولى في قلوب الجماهير

حديث فارس الخوري

فارس الخوري هو رئيس مجلس النواب وزعيم الحزب الوطني [1] وقد تمكن بفضل تجاربه الكثيرة في ميدان السياسة التي مارسها مدة طويلة أن يمتع بنفوذ عظيم بين رجال السياسة في البلاد. وهو من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت وأستاذ في الحقوق في الجامعة السورية . وهو رجل قد أسبغت عليه مقدرته العقلية بالاشتراك مع مظهره المهيب حلة من الوقار . إلا أن جله لم تكن خالية من الزخرف اللفظي الذي يميل إليه بصورة جلية. وقد ذكرني وهو جالس وراء منضدته في مكتبه الخاص في دار البرلمان الجديدة بالأستاذ نيكولاس ماراي بتلر [2] . قال بلغته الانكليزية الصحيحة :

« إن سورية في نظرنا لا تنحصر بالمقاطعة المعروفة بهذا الاسم اليوم، بل هي تشمل كل البلاد التي كانت في وقت من الأوقات جزءاً منها : أي لبنان وفلسطين والعراق . إن حدودنا الحقيقية يجب أن تتاخم حدود تركيا والحجاز ومصر والبحر الأبيض المتوسط وإيران . [3] إننا لا ننكر أن توحيد هذه الأقطار مستحيل الآن، ولهذا فإن همنا موجه أولاً إلى تشكيل اتحاد Federation للدول العربية تكون أعضاؤه مستقلة . إن اتحادنا مع لبنان هو أول خطوة لتحقيق هذه الغاية ، فان انفصالنا عنه أمر غير طبيعي . إن اللبنانين الذين يتحدثون عن الاختلاف بيننا في الأصل وفي المصالح الاقتصادية لبالغون. فالواقع أن وجوه الاختلاف بيننا أقل بكثير من وجوه الشبه .

« إن أمامنا مهمتين رئيسيتين، ألا وهما تشكيل الجيش الوطني وتحقيق الانعاش الاقتصادي . أما الجيش فهو ضروري لحفظ كرامتنا ، وفرقة واحدة منه تكفينا الآن. إذ أن الجيش الفرنسي الذي لا يوجد عندنا غيره في الوقت الحاضر قد يوجه في يوم من الأيام ضد مصلحتنا وذلك عندما تفكر فرنسا في تحويلنا إلى سفتجة (billet de change) تعرضها عند اللزوم على بريطانيا أو تركيا أو — حتى — إيطاليا. وبالاضافة إلى ذلك فلسنا كالأيتام حتى نحتاج حماية جيش أجنبي ، فنحن قادرون على حماية أنفسنا » وهنا رفع صوته في جملته الأخيرة، وأجال بصره حول الغرفة كأنه يستعرض تلك « الفرقة الواحدة » ثم تابع كلامه بلهجة هادئة فقال :

« أما المهمة الثانية وهي تقوية دعائم البلاد الاقتصادية فان الوحدة العربية ستبقى خيالا إذا لم تسبقها هذه التقوية . إن ما نستورده في الوقت الحاضر من الخارج يساوي أربعة أمثال ما نصدره ، وعليه فلا بد لكل دولة عربية من تحقيق توازنها الاقتصادي قبل تحقيق الوحدة العربية المنشودة . ولن تنجح سورية في تعديل ميزانها الاقتصادي ما لم تعمل على تخفيض مقدار ما تستورده تخفيضاً شديداً ، وتسعَ إلى خلق صناعات جديدة في البلاد وتحسين الزراعة

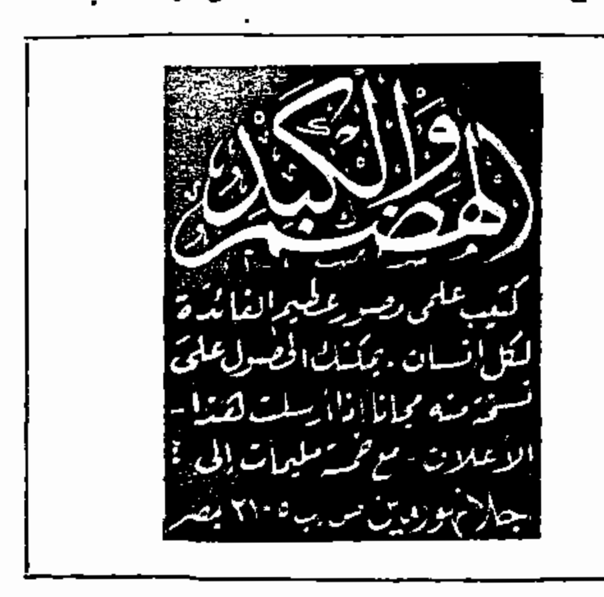
« إن نسبة تقدمنا الثقافي تكاد تفوق نسبة ما تتحمله البلاد من تقدم اقتصادي . فالسوري ذو ميل فطري للدراسة؛ ونحن نثقف أولادنا في الجامعات الأوربية حتى أوشك عدد المتعلمين عندنا أن يزيد على الأعمال المفتوحة لهم »

« يتبع » على حيدر الركابي

(١) لا يوجد حزب وطني في سورية بهذا الاسم والحزب الوطني الذي يعتبر الأستاذ فارس الخوري من أقطابه هو الكتلة الوطنية، إلا أن رئيسها الحالي هو معالي السيد سعد الله الجابري وزير الخارجية والداخلية الذي ترأس الحزب على أثر انتخاب رئيسه السابق فخامة السيد هاشم الاتاسي لرياسة الجمهورية السورية (المترجم)

(٢) السيد المشهور لجامعة كولومبيا في نيويورك « المؤلف »

(٣) هل يقصد أستاذنا الكبير إخراج الحجاز ومصر من دول الاتحاد العربي المنشود ؟ (المترجم)



النظام القضائي

في مصر الإسلامية

للدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

القضاء في أمة من الأمم مظهر من مظاهر تقدمها. ولقد قال لينبول في معرض كلامه عن القضاء في مصر الاسلامية: « إن هذه الروح الاستقلالية عند القاضي الذي كان يُضرَبُ بالسياط إذا ما خالف الأوامر العالية كانت رمزاً لما كان يعامل به غيره ممن هم في مرتبته وفي مركزه. ولقد ساد الظلم في هذا العصر وتفشت الرشوة في سائر الأعمال الادارية، ودخلت البلاد تحت حكم طائفة من الولاة وعمال الخراج ممن جمعوا الأموال كرهاً وعسفاً في عصر لم يكن القاضي ليؤتمن فيه على الشريعة الغراء. هذا فضلاً عما كان هنالك من رشوة متفشية وتهديدات مصوبة إلى هذا القاضي

« وربما كانت الشريعة الاسلامية محدودة المادة، وقد يكون القاضي متطرفاً في اعتقاده. غير أنه كان على الأقل على نصيب من العلم والمعرفة، وله خبرة اكتسبها من اشتغاله بالتشريع الاسلامي، كما أنه اشتهر لدى الجمهور بالاستقامة وسمو الخلق، ولما كان لمركزه من أهمية ولشخصه من كبير نفوذ لم يكن يجرى عليه ما كان يجرى على غيره من العمال، بل ظل القاضي في كثير من الأحيان يشغل منصبه في عهد ولاة عدة، بل كثيراً ما أعيد إلى منصبه إذا ما تولى الحكم خليفة أو وال جديد

« ولم يكن هناك أسرع من القاضي في تقديم الاستقالة إذا تدخل في أحكامه الشرعية متدخل. وقد بلغ من محبة الناس القضاة أن أصبح الولاة يفكرون ملياً إذا حدثتهم أنفسهم بالاقدام على عزلهم حتى لا يعرضوا أنفسهم لكراهة الجمهور التي قد يجرها إليهم أي تدخل من جانبهم في السلطة القضائية. وفي الحق لم يعد الوالي في العصر العباسي يملك سلطة عزل القضاة. ويظهر أن تعيين القضاة أصبح منذ أيام ابن لهيعة (١٥٥ — ١٦٤هـ) تصدر به المراسيم من بغداد عادة، كما غدت مسألة تحديد الراتب ودفعه موكولة إلى الخليفة نفسه [١] »

(١) S. Lane-Poole : Egypt in the Middle Ages. pp. 39—40

وهذه العبارة التي ذكرها لينبول في جملتها بمثابة وصف موجز لحالة القضاء في هذا العصر. على أنه بالرغم من ذلك فقد أتى بعض قضاة هذا العصر بضروب من الاصلاح بارزة، فعرف توبة ابن نمر الحضرمي (١١٥ — ١٢٠ هـ) بالاستقامة، وكان يهب إخوانه ويصلهم بكل ما ملكت يداه حتى وصفه الناس بالتبذير [١] هذا إلى أن توبة كان أول قاض وضع يده على الأحباس (١١٨هـ) حفظاً لها من التُّوى والثورات وجعل لها ديواناً كبيراً [٢]

كذلك كان القاضي غوث بن سليمان الحضرمي (١٣٥ — ١٤٠ هـ) حسن الأحدوثة وقد عمل على تطهير القضاء من العيوب التي كانت متفشية فيه وأخصها شهادة الزور [٣]. ولقد عالج هذا العيب فكان يسأل عن الشهود سرا، فاذا تأكد من استقامتهم وحسن شهادتهم قبل شهادتهم. وقد عرف غوث بالنزاهة والاستقامة، وكان كما قال الكندي « أعلم الناس بمعاني القضاء وسياسته » واشتهر بالعدل والاعتدال في أحكامه على الرغم من عدم تضلعه في الفقه الاسلامي. يدلك على ذلك ما كان من كثرة الخصوم على داره بعد وفاة خلفه. وقد بلغ من عدل غوث هذا أنه جعل الخليفة المهدي العباسي وامرأة شكته إليه على قدم المساواة في الحكم. ولما وكّل الخليفة عنه رجلاً، ساوى بين هذا الرجل وبين الخصم في مجلس القضاء [٤].

كذلك كان أبو خُزَيمة ابراهيم بن يزيد (١٤٤ — ١٥٣هـ) فقيها متضلعا في علم الشريعة. ولقد بلغ من نزاهته أنه كان لا يأخذ عطاءه عن اليوم الذي لم يعمل فيه للقضاء شيئا. وربما يعجب القارىء لما كان عليه هؤلاء القوم من النزاهة والورع في هذا الوقت، ولقد كان يقضى هذا القاضي يومه بعيدا عن مجلس الحكم إذا رأى التخلف لغسل ثيابه أو لحضور جنازة أو نحو ذلك حتى عبر عن اعتقاده بقوله « إنما أنا عامل للمسلمين، فاذا اشتغلت بشيء غير عملهم فلا يحل لي أخذ مالهم [٥] »

ولعل القارىء يعجب كيف يتخلف ذلك القاضي العظيم، وهل كان يوجد في ذلك الوقت من يكفيه مؤونة غسل هذه الثياب؟

ولكن أخلاق القضاة في ذلك الوقت كانت أخلاقا إسلامية متواضعة، وكانوا يقتدون بالرسول صلى الله عليه وسلم في تواضعه

(١) كتاب الولاة للكندي ص ٣٤٧
(٢) كتاب الولاة ص ٣٤٦
(٣) الكندي: شرحه ٣٤٦
(٤) الكندي ص ٣٠٦، ٣٦١
(٥) الكندي ص ٣٧٥

وتنزهه عن الكبرياء ، فلقد أُثِرَ أنه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقضى كثيرا فى حاجاته بنفسه ؛ وهذا العمل فى حد ذاته رياضة محبوبة ينزع إليها كثير من العظماء ، وهو نوع من الديمقراطية لإرضاء الفقير .

وكان أبو عبد الله بن لهيعة (١٥٥ — ١٦٤ هـ) أول قاض ولى من قبل خليفة فى العصر العباسى ، كما كان أول قاض حضر فى إثبات رؤية الهلال . ولقد أتى المفضل بن فضالة (١٦٨ — ١٦٩ ، ١٧٤ — ١٧٧ هـ) بكثير من ضروب الاصلاح التى أدخلها على نظام القضاء . وكان كذلك أول من عنى بالسجلات وجعلها تامة وافية ، فدوّن فيها القضايا والوصايا والديون وأول من اتخذ «صاحب المسائل» ومهمته الوقوف على حقيقة الشهود .

ويظهر أن هذا الاصلاح الأخير إنما كان ظاهرياً فقط ، فقد قيل إن هذا الموظف كان يرتشى من بعض الناس ليقرر عدالتهم لدى القاضى . على أن المفضّل فطن إلى ضرر الاستعانة بهذا الموظف ، واضطر أمام الأمر الواقع فعين عشرة رجال للشهادة ، ولكن هذا العمل لم يرق فى نظر الجمهور لاتخاذ الشهود بهذه القلة ، ولأنه عمل جديد لم يسبق إليه أحد من القضاة ، فقال رجل يدعى اسحق بن معاذ يقبح رأى القاضى :

سننْتَ لنا الجورَ فى حكمنا ... وصيّرت قوماً لصوصاً عُدولا
ولم يسمع الناسُ فيما مضى ... بأن العدول عديداً قليلا(١)

وقد نظم لهيعة بن عيسى الأحباس وكانت فى أيامه على ما قال هو لأحد أصحابه « سألت الله أن يبلغنى الحكم فيها فلم أترك شيئاً منها حتى حكمت فيه وجدّدت الشهادة به(٢) » ولا غرو فقد جمع الأموال التى من الأحباس وخصص منها نصيباً لأهل مصر كما أدخل فيها المطوعة الذين كانوا يعمرون الواخير وأجرى عليهم العطاء من الأحباس فكان ذلك أول ما فُرضت فروض القضاة فسنّ الناس هذه السنة بعد لهيعة وسميت « فروض لهيعة » ثم سميت بعد ذلك فروض القاضى وفى ذلك يقول فراس المرادى

لعمرى لقد سارت فروض لهيعة ... إلى بلد قد كان يهلك صاحبُه
إلى بلد تُقرى به البوم والصدى ... تعاوره الروم الطغام تحاربُه
رشيد وإدفنا والبرلّس كلها ... ودمياط والأشتوم تقوى تغالبه

(١) رفع الاصر عن قضاة مصر ص ٣٨٦
(٢) نفس المرجع ص ٤٢٤

لهيع : لقد حزت المكارم والثنا ... ومن عند ربى فضله ومواهبه
فقد عمّرت تلك الثغور بسنة ... تعد إذا عدت هناك مناقبه(١)

على أن لهيعة قد أغضب أهل مصر لما كان من اتخاذه ثلاثين رجلا من الشهود جعلهم بطانة له ، فقال أبو شبيب مولى نجيب فى صحابة لهيعة شعراً ننقل بعضه لأنه يبين كيف كان يعقد مجلس الحكم فى هذا العصر ، وإن كنا نرى فى هذا الوصف مبالغة قوامها التشهير بهذا القاضى وصحابته :

لازموا المسجد نفلاً ... لا من الأمر الرشيد
لحوانيت بنوها ... بفنا كلّ عمود
وألاحوا بجباه ... من نطاح الحصر سود
تحت أميال طوال ... كبراطيل اليهود
وتراهم للوصايا ... وعدالات الشهود
فى مراء وجدال ... وقيام وقعود
وخشوع وابتهال ... وركوع وسجود
وعلى القسمة أضرى ... من تماسيح الصعيد(٢)

هذا حال نظام القضاء فى مصر إبان هذا العصر ، غير أنه للأسف لم يكن خالياً من عيوب ونقائص جعلته متمشياً فى جملته مع تلك الحال السيئة التى سادت البلاد فى هذا الوقت . نعم ! قد عرف بعض القضاة بسوء السيرة فأساءوا إلى سمعتهم وسمعة كتابهم بما أتوه من أعمال الرشوة ؛ على أنه يلوح لنا أن الخلفاء كانوا لهؤلاء وأمثالهم بالمرصاد ، فقد ذكر الكندى أن هشام بن عبد الملك الأموى بلغه أن يحيى بن ميمون الحضرمى (١٠٥ — ١١٤ هـ) لم ينصف يتيما احتكم إليه بعد بلوغه ، وحوّل قضيته إلى عريف قومه ، وكان اليتيم وقتئذ فى حجره ، ثم حبسه حين اتصل به أنه أخذ يشنع عليه ويرميه بعدم إنصافه ، وعلم الخليفة بهذا فعظم ذلك عليه وصرفه ، وكتب إلى الوليد بن رفاعة عامله على مصر يقول: « اصرف يحيى عما يتولاه من القضاء مذموماً مدحوراً ، وتخير لقضاء جندك رجلا عفيفاً ورعا تقيًّا سليما من العيوب لا تأخذه فى الله لومة لائم(٣) »

حسن إبراهيم حسن

(١) الكندى ص ٤١٩ — ٤٢٠
(٢) الكندى : شرحه ص ٤٢٣ — ٤٢٤
(٣) الكندى : شرحه ٣٤٠ — ٣٤١

فلسفة الأسماء

للأستاذ السيد شحاتة

إن أول ما يصادف الإنسان في حياته فيوسم به ويبقى ملازماً له، ويشتهر به حتى بعد موته، ويمتاز به عن غيره من الناس، هو الاسم . وقد ترتفع بالإنسان الشهرة وذيوع الصيت إلى أن يكون طبيباً نطاسيًّا أو شاعراً فحلا أو عالماً نحريراً أو خطيباً لسناً أو صانعاً ماهراً فلا يعرفه الناس ولا يقرون له بفضل إلا مقروناً باسمه

فالاسم هو السمة الواضحة البارعة التي تفصح عن صاحبها وتبين عن مواهبه . وفي القديم والحديث تفنن الناس في انتقائها وجهدوا في اختيارها حتى اتخذوا من الأسماء علامات للخير والشر والذكاء والغباء والسعادة والشقاء

ولرجال التربية مذهب في تسمية الأبناء فهم يرون أن أول واجب على الأب أداء هذا الدين على وجه موفق محبوب باختيار اسم جميل يكون عنواناً محبباً مقبولاً لابنه على تقادم الأيام، يرى فيه عزة وكرامة لا مهانة وسخرية. فهم ينصحون الآباء بأن يؤدوا الأمانة أحسن أداء فلا يسمون أبناءهم باسم قبيح مرذول حتى لا يحيدوا عن طريق الصواب

وفي الحقيقة أن للاسم تأثيراً كبيراً في توجيه عقلية الانسان وفي سعادته وفي نبوغه وفي شهرته . وقد تسعد الأسماء أو تشقى بسعادة أصحابها أو شقائهم . وقد يتهافت الناس على اسم فيشيع ويذيع لأنه لنبي أنار الظلمات ، أو ولي أزال الشبهات ، أو قائد أو زعيم طارت شهرته، فأخذ الناس بسناه، وتأصل بينهم من اسمه سحر يجذبهم إليه

الإنسان والأسماء

لقد كانت التسمية عند الإنسان هي المحور الأساسي الذي تدور عليه قواعد التسمية أجمع ، لأن الاسم من أفضل علامات التكريم ومن أبين دلائل الرقي والكمال . وما من شك في أن الله قد كرم بني آدم وفضلهم على سائر المخلوقات

ولكنا على رغم هذا نجد الانسان نفسه قد استعار من أسمائه ومن غيرها فسمى الخيل والشوارع والقطط والكلاب والبلاد وغير ذلك فأطلق على الخيل (فواز) (غاوى) (سحاب) ... الخ

وفي كل منزل يسمى الناس كلابهم وقططهم بأسماء خاصة يقصدون فيها إلى الرشاقة والدلال . وكذلك الشوارع تسمى بأسماء يتخذها المختصون من التاريخ أو الموقع أو اسم أحد القطان أو الملوك والزعماء

ولقد غدا تكريم الملوك والعظماء يأخذ من أسماء الشوارع أعز مكان . فهم يطلقون اسم الملك أو العظيم حبًّا فيه وتخليداً لذكراه واعترافاً بأياديه

والمدن تنسب إلى الملوك (كالابراهيمية. الفاروقية. الاسماعيلية بور سعيد . بور فؤاد . الاسكندرية) . وقد تدل على صناعة أو زراعة راجت فيها مثل(معمل الزجاج. المعصرة. كفر الزيات. كفر البطيخ . التل الكبير) . ومنها ما تنسب إلى شخص اشتهر فيها مثل(أبو حماد. سيدى جابر. جرجا)— نسبة إلى مارى جرجس — ولبعض المدن أسماء غريبة بعضها من اللغة القبطية القديمة مثل (دمنهور) . وهور : أحد آلهة المصريين القدماء . ودمن : أي مدينة

وقد انساق الناس في تعليلات طريفة لبعض أسماء المدن والقرى فهم يزعمون أن يوسف عليه السلام تقابل مع زليخا زوج العزيز بعد أن طوى شبابها تتابع الأيام فذوت نضرتها وذبل جمالها ــ تقابل معها في المكان المعروف بمديرية الجيزة فقال لها (أصبح البدرشين) فلذلك سميت مدينة البدرشين باسمها هذا

ويزعمون أن القائد جوهر أراد أن يضع أسس البناء في عاصمة مصر في ساعة سعيدة يقدرها رجال الفلك، فجعل أجراسا تدق للبنائين ليضعوا البناء إذا ما حانت ساعة سعيدة، ولكن الحظ خانه إذ حرك طائر حبال الأجراس، فرنت ، فوضع الأساس في ساعة القهر فسميت القاهرة . وهذه مزاعم دفع الناس إليها حرصهم على المبالغة في التعليل .

والمدن كالانسان خاضعة عند تغيير اسمها إلى قانون فلا يجوز تغيير اسم بلد إلا بعد موافقة وزارة الداخلية ووجود ضرورة لهذا التغيير .

التسمية عند القدماء

لقد وضعت أسماء الأعلام والأجناس للدلالة على أفراد النوع الانسانى وما يحيط به فى بيئته الطبيعية وما يبتكره فى حياته الفكرية . وليس من شك فى أن وضع هذا النوع من الأسماء قد جاء سابقا فى المرتبة على وجود الأفعال والحروف التى ما وجدت إلا لتربط الأسماء فى الجمل المختلفة .

ولكن المرجح أن الانسان لم يتذوق التسمية بمعناها السامى الفنى، ولم يعن بها ولم يتفنن فى اختيارها قبل أن يعرف الحضارة والمدنية ويسمو إلى أفق الحياة الكاملة . وإنما كان الناس فى عصور الجهالة يطلق بعضهم على بعض أوصافا تميز كل واحد منهم من الآخر؛ وهذه الأوصاف تدل على ميزة كل شخص بقدر الامكان، كقولهم (الرجل القصير . الرجل البدين . ذو العين الواحدة . وهكذا . . .) ولكنا نحن فى عصورنا هذه عصور الحضارة والمدنية نلجأ إلى ذلك فى مواطن كثيرة . فاذا أردنا وصفا دقيقا لمن لا يعرف اسمه وصفناه بأخص صفاته وأظهرها

وقد كان المتوحشون يخافون أن تستحسن المفاريت والأرواح الشريرة أسماء أولادهم فتقبض أرواحهم، فلذلك كانوا يسمون أولادهم بأسماء بشعة (القذر . الوغد . الجبان) وكان بعضهم يسمى الطفل باسم حادث تاريخى (القحط. الوباء. الحرب) وما زلنا نحن نسمى أولادنا بأسماء تاريخية (عيد . خميس . جمعه ، شعبان ، رجب ، محرم ، ربيع .) ولبعض الأسماء القديمة دلالة تدل على ميزة بها أو أصل طبيعتها ؛ فقد اشتق (آدم) من أديم الأرض لأنه خلق من الطين واسم (إبليس) من الابلاس وهو اليأس .

التسمية عند العرب

ذهب عرب الجاهلية مذاهب شتى فى تسمية أبنائهم ، فمنهم من تفاءل بالنصر والظفر فسمى (غالب . غلاب . ظالم . طارق . معارك . منازل .) ومنهم من تفاءل بنيل الحظوظ فسمى (سعد . سعود . غانم . غياث . غوث .) ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن لاظهار القوة فسمى (صخر. جندل . حجر. جبل. فهر)

ومن العرب من كان يخرج وزوجته قد جاءها المخاض فيسمى من تلده امرأته بأول اسم يقابله كائناً ما كان (سبع . ثعلب كلب .) ويروون فى هذا أن أسماء بنت دريم من قبائل العرب كانت تلقب (أم الأسبع) لأنها سمت أولادها (كلب . أسد . ذئب . فهد . ثعلب . سرحان . خثعم . هر . ضبع)

ومن العرب من أضيف إلى عبودية الأصنام (عبد العزى . عبد مناه) وقد كان فى الأمة العربية من اشتهر بلقب غلب عليه فى شعره حتى أصبح علماً له مثل : (عمرو بن رباح السلمي) (أبو الخنساء — الشاعرة المشهورة) إذ سمى (الشريد) لقوله :

تولي إخوتي وبقيت فردا … وحيداً فى ديارهم شريدا

ومنهم (عمرو بن سعيد — الملقب بالمرقش) لقوله :

الدار قفر والرسوم كما … رقش فى ظهر الأديم قلم

ومنهم سالم بن نهار العبدى الذى لقب بالممزق لقوله :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل … وإلا فأدركنى ولما أمزق

وكذلك امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية يلقبونه (بذى القروح) لقوله :

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة … فيالك من نعمى تحولت أبؤسا!

وما زلنا نحن فى عصرنا هذا نسمي الناس بشيء يرتبط بهم من صناعة أو أى عمل؛ فعندنا الآن ألقاب ربما شاعت بين الناس حتى طغت على شهرة الاسم الحقيق ، فأصبح المسمى لا يعرف إلا بها (الصحافى العجوز. أبو نظيرة . برسوم الجبير. ابنة الشاطئ) وفى العرب أسماء كثيرة من هذا النوع . كما أن بينهم أسماء أخذت فى حوادث معينة — مثل جرير الشاعر الأموى المشهور؛ فقد ذكروا فى ذلك — أن الجرير فى اللغة هو الحبل . وقد سمى الشاعر بذلك لأن أمه رأت فى منامها وهى حامل به أنها تلد حبلا يخنق الناس، فذهبت فى الصباح إلى معبر الرؤيا وقصت عليه رؤياها فقال لها (لتلدن ولداً يكون شراً على الناس) وفعلا كان كذلك جرير . وكانت أمه ترقصه وهو صغير وتغنى له :

قصصت رؤياي على ذاك الرجل … فقال لى قولا وليت لم يقل

لتلدن عضلة من العضل … ذا منطق جذل إذا قال فصل

وسمى الجاحظ جاحظا لجحوظ عينيه . والمتنبي لادعائه النبوة كما اشتهر كثير بنسبتهم إلى بلادهم أو قبائلهم (البحترى . أبو العلاء المعري . الطائى . الخزرجى . المزنى) ونحن نسمى الأشخاص نسبة إلى بلد أو صناعة (ابراهيم المصرى . خليل الزيات . بيومى الطبال . محمد النجار . خديجة المياشة)

وكذلك (الصباغ . الجمال . الدباغ) ومما تحسن الاشارة إليه بمناسبة الدباغ . أن رجلا فى الماضى القريب اسمه ابراهيم الدباغ اشتهر بكثرة الأكل، فأطلق الناس كلمة دباغ على كل إنسان يكثر الأكل

أما النسب إلى القبيلة كما كان الحال عند العرب ، فقلما نجده الآن لشيوع روح المدنية وتقطع التواصل بين الناس وعدم الاعتزاز والفخر بالقبيلة كما فعل العرب ؛ ولأن الوحدة أصبحت للدولة لا للقبيلة

الأسماء والأديان

لم تكن للأسماء في العصور الأولى صبغة دينية خاصة، إلا أن الحال تغيرت بعد ظهور المسيحية ، إذ أخذ المسيحيون يقلعون شيئاً فشيئاً عن بعض الأسماء اليهودية والوثنية ثم يختارون أسماء جديدة

وفي أوائل عهد النصرانية درج النصارى على أن يسموا أبناءهم بأسماء القديسين والأنبياء، إذ يعلن الأب اسم ابنه جهاراً عند المعمودية فيصبح اسماً معترفاً به قانوناً

وفي فرنسا لا يجوز لأحد أن يبتدع لابنه اسماً غريباً لم يعرفه الناس من قبل، وما يزال في فرنسا حتى اليوم سجل رسمي يحتوي الأسماء التي يجوز للانسان أن يختارها لأبنائه ولا يجوز له أن يسمي بما عداها ؛ وهذا السجل يهذب من وقت لآخر بإضافة أسماء حديثة وحذف أخرى قديمة

وفي أسبانيا — حيث ديانتهم الرسمية الكاثوليكية وقد كانت حكوماتهم ملكية — كان الآباء مقيدين عند تسمية أبنائهم بطائفة من أسماء القديسين والقديسات مأخوذة من تقويم الكنيسة ؛ ولكن بعد زوال الملكية قريباً قد أبطل هذا وصار الآباء أحراراً في تسمية أبنائهم

ولما ظهر الاسلام تطورت الأسماء عند العرب، إذ سمى النبي (محمداً) مع أنه لم يسم أحد من قبل بهذا الاسم ؛ ثم شاعت الأسماء المضافة إلى عبودية الله وتعدت لفظ الجلالة إلى غيره من أسماء الله الحسنى . والآن نجد بين المسلمين نحو النصف من الأسماء تدعى محمداً أو ما اشتق منه مثل محمود . أحمد . حامد ، وقد أثر عن النبي (صلعم) أنه قال (خير الأسماء ما حمد ثم ما عبد)

والأديان على العموم لا تحرم اسما ولا تبيح آخر، بل الانسان حر في التسمية بما يشاء . غير أنه على الرغم من هذه الحرية المطلقة نرى بعض أسماء اختص بها المسلمون، وأخرى اختص بها اليهود ، وغير ذلك من الأسماء تفرد بها المسيحيون . فمن أسماء النصارى الخاصة (بطرس . ميخائيل . حنا . جرجس . عبدالمسيح هيلانة . ماري) ومن أسماء اليهود الخاصة (باروخ. عزرا. كوهين ليفي . حانان) ومن أسماء المسلمين الخاصة (محمد . مصطفى . حسن علي . فاطمة . عائشة) ومن الأسماء المشتركة (يوسف . سليمان . ابراهيم . داود . يعقوب . توفيق)

وفي الواحات المصرية كما في جزيرة قبرص أسماء مخلوطة، فهناك بطرس حسين جورج محمد . نقولا عثمان . وفي سوريا من المسيحيين من سمى ابنه محمدا. وفي مصر تميل الأسماء المسيحية شيئا فشيئا نحو الاسلامية، حتى أنها لتشتبه بها في كثير من الأحيان. وفي اسبانيا حيث مكثت الديانة الاسلامية نحو ثمانية قرون، نجد كثيرا من أسماء الأجداد الأولين للأسبان المعاصرين تنتهي بأسماء إسلامية .

(البقية في العدد القادم)

السيد شواته

بين الفن والنقد

للأستاذ عبد المنعم خلاف

قالت لي نفسي بعد شهودها معركة للنقد بين جماعة من أصدقائي لحق منها مؤسسين عظيمين من مؤسسي الأدب الحديث جملة من النعوت أذكر أنها لم تكن لتلحقهما لو مضيا من الحياة ولم يتركا بيانهما العظيم :

« حطم قلمك ! وأغلق أقفالي عليّ ، واتركني أمضي من الحياة من غير صوت ولا ذيول يتعلق بها كل متجن وعابث . ودعك من أسطورة الخلود ... تلك التي تفتنكم وتجركم إلى النزاع وإضافة تعبيرات جديدة إلى سجل الشتائم المهذبة الخالدة الذاعة وقل في تلك الأسطورة ما قال المازني الأديب الساخر منذ سنوات في صحيفة البلاغ : « طُزْ » ! »

فقلت لها يا نفسي : ألم تعلمي في سنن الحياة أن لكل شيء وجهين : وجه جمال ، ووجه قبح ؟ ألم تحفظي قول القائل :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تذم فقل قيء الزنابير

« والعظيم دائماً يحظى بشرف المبالغة من أنصاره وأعدائه »

وتاريخ الآداب والفنون والعلوم مملوء بالمعارك العنيفة بين المنتج والناقد وأنصارهما . ولم يفد الأدب والعلم بقدر ما أفادا من النقد على شريطة الانصاف فيه والبعد عن المهاترة وتسقط العيوب وإدخال النوازع الشخصية في موازينه

غير أن المنتج غيور على إنتاجه، فتارة يجهد نفسه في التجويد والتهذيب والتنقيح قبل أن يعرض نتاجه كما كان يفعل زهير في حولياته . وتارة لا يلقي باله إلى كلام النقاد ولا يحفل رضاهم أو سخطهم ما دام هو راضياً عن نفسه ، كما قال الفرزدق لناقد احتار في إعراب كلمة من شعره « عليّ أن أقول وعليكم أن تعربوا » وكما قال المتنبي :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

وكما قال الأستاذ العقاد في تقدمة ديوانه :

هـذا كتابي في يد القراء

ينزل في بحر بلا انتهاء

... ...

فليلق بين القدح والثناء

ما شاءت الدنيا من الجزاء

وكما هو شعار برنارد شو الذي يستدقّ بوقد كتبت على حائطه هذه الكلمة :

« إنهم يقولون ... ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون ... »

وتارة يحمل المنتج على النقاد فيخافون لسانه ويقرظونه أو يسكتون عنه كما كان يفعل ابن الرومي

وتارة ينال المنتج من الناقد ثأره كما قال شلي الشاعر الانجليزي « ما عدا أمثلة نادرة لا يمثل النقاد سوى سلالة غبية خبيثة . وكما يتحول اللص الفاشل إلى خفير كذلك يتحول المؤلف العاجز إلى ناقد ! » وقال كولردج « النقاد هم عادة أناس كان ينتظر أن يكونوا شعراء ومؤرخين وكتاب سير لو استطاعوا . وقد جربوا مواهبهم في هذا أو ذاك ففشلوا؛ ولذلك انقلبوا نقاداً »

غير أن من القليل النادر أن تجد هـذه الغيرة من الفنان والمنتج تبدو في صورة « الكبت » أو « الوأد » ولن يقدم على ذلك أديب أو عالم محترف أو مؤمن بنفسه يريد أن يفرضها على التاريخ؛ وإنما هو أحد رجلين : رجل « هاو » يجمع إلى إنتاجه وفنه حرفة أخرى يلابس الحياة بها وينال احترام الناس منها، فلن يضيره أن يتخلى عن إذاعة فنه عند ما يرى أنه سيجلب عليه تنغيصاً ومحنة وعداوة من حيث يرجو الترفيه والحب ؛ كما قال المتنبي (أعادى على ما يوجب الحب للفتى) ؛ أو هو رجل شاك في نفسه رافع ثقته فيها لا يراها إلا بعيون الناس ، فإذا قالوا لها أو عليها فهو وما قالوا

والأستاذ عبد الرحمن شكري والدكتور الشاعر ابراهيم ناجي مثلان مضروبان للرجل الأول في عهد من عهودهما بين يدي هذا العصر ؛ كما يضرب أبو حيان التوحيدي الأديب الحكيم المتوفى سنة ٤٠٣ هـ مثلا في العصر القديم ، فقد أحرق مؤلفاته ولما سئل في ذلك أجاب : « شق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها ويشمتون بسهوي وغلطي إذا تصفحوها ويتراءون نقصي وعيبي من أجلها »

هذه صور من غيرة المنتج ، في بعضها يصل الناقد إلى حد الجناية لأنه يحمل بعض النفوس على الكبت أو الوأد لما لابد أن يشتمل على نفع كثير للانسانية بجانب ما عساه أن يكون فيه من ضرر أو تفاهة . نعم إن بعض المنتجين يعرضون أشياء تافهة أو مكررة تستحق التزييف وتأديب أصحابها لأنهم لم يعوا معنى

كلة الجاحظ « ينبغي لمن يكتب كتاباً أن يكتبه على أن الناس كلهم له أعداء ، وأنهم أعلم منه بما يقول . وإن لابتداء القول فتنة وعجبا » . ولا قول الآخر : « من ألف فقد استهدف »

غير أن هذا كله ليس مبرراً لتهجم الناقد على نفس المنقود وذهنه ، وليس داعياً إلى تحطيم حرماته وإهدار قداسته الطبيعية التي هي له حق طبيعي من قبل أن يخط حرفاً أو يعمل عملا هو فيه حسن النية لا ريب ؛ إذ أنه يريد أن يشارك به في المجهود الانساني . فاذا لم ينل الشكر فلا أقل من ترك حرماته من غير تجريح

وأذكر أنني قرأت منذ عشر سنوات لكاتب تونسي لا أذكر اسمه كلة في مقدمة كتاب ألفه ، تفيض باسترحام القارئ ليغضي عما في الكتاب من نقص يجده ؛ إذ أن مؤلفه كتبه بضياء عينيه ساهداً في جوف الليل ليسعد به قارئوه الذين كانوا نياماً في ذلك الوقت . وهو معنى جميل لو وضعه الناقد أمام عينيه لوقف وقدر ثم وقف وقدر كرتين قبل أن يعمل قلمه بالنقد المسلح الجارح

وأظن أن كاتبا ما ، لم يحمل قلمه ويخط به حرفا إلا وهو يضمر مع ما يضمر من شهوة خلود الذكر أو الشهرة ، النفع وتنمية الميراث الفكري . وهذا وحده يحتم علينا احترام اتجاهه تشجيعا له ولغيره . اللهم إلا الكاتبين الهدامين الذين في تركهم أو تقديرهم خطر ؛ فأولئك يجب هدمهم بالنقد وإهدار حرماتهم كما أهدروا حرمات المجتمع .

وما أجمل مذهب القائل — وأظنه شاعرا سوريا أو لبنانيا معاصرا — :

أيها الناقص أعمال الورى هل أريت الناس ماذا تعمل ؟
لا تقل من عمل : ذا ناقص جئ بأوفى ثم قل : ذا أكمل
إن يغب عن عين سار قمر فحرام أن يعاب المشعل

القاهرة عبد المنعم خلاف

جورجياس

او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٩ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »(١)

ط — (رداً على جورجياس) وإذا فلتر الآن إذا كنت أستطيع أن أشرح لك ما أريد أن أقول بوضوح أكثر . عندنا من الفنون بقدر ما عندنا من الجواهر(٢) ؛ وأحد هذه الفنون يختص بالنفس وأدعوه « السياسة » ؛ والآخر يختص بالجسد ولست أجد له الآن اسماً مفرداً وإن كنت أميز في وحدته قسمين هما « الرياضة البدنية » و « الطب » كما أميز في السياسة بالمثل « التشريع » ويقابل الرياضة البدنية ،

(١) أشار سقراط في العدد الماضي إلى أن البيان التي يتشدق به السفسطائيون ليس من الفن في شيء ، وأنه كالطهي سواء بسواء وسنرى اليوم كيف يثبت هذه الدعوى ، وكيف يجعل الطهي والسفسطة والتزين والبيان أقساماً للتملق والرياء ، ثم كيف يثني على معنى « القوة » ليبين أن الطغاة والجبابرة أضعف الناس جميعاً (المعرب)

(٢) يشير إلى جوهري النفس والجسد وقد تناولها قبل ذلك (المعرب)

و « العدالة » وتقابل الطب . ولما كانت فنون هاتين المجموعتين تتصل بموضوع واحد فإنها بالطبع ذات علاقات فيما بينها؛ كما هو الحال في الطب والرياضة البدنية من ناحية، وفي العدالة والتشريع من ناحية أخرى؛ ولكن توجد بينها مع ذلك بعض الفروق ...

هناك إذاً تلك الفنون الأربعة التي ذكرتها، والتي تعمل على تحقيق أعظم الخيرات[1] ، والتي يختص بعضها بالجسد، وبعضها الآخر بالنفس. وهناك « أيضاً[2] » « التملق » الذي لا نستطيع أن نتصوره إلا بالظن والتخمين دون العقل المنطقي، والذي ينقسم في نفسه إلى أربعة أقسام تنزلق تحت تلك الفنون الأربعة الآنفة وتتداخل فيها ، ويدعي كل منها أنه هو نفس الفن الذي انزلق تحته واختفى فيه ... ، وهو « أي التملق » لا يعنى بالخير قط ، ولكنه يجتذب الحماقة دائماً بما يقدمه لها من « طعم » اللذة فيغشها ويخدعها وينال بذلك تقديراً كبيراً[3] ؛ ؛ « فالطهي » مثلاً ينزلق تحت « الطب » ويتخفى فيه ويدعي مفتخراً أنه يعرف أفضل الأغذية اللائقة لصحة الجسم بحيث لو تجادل الطاهي والطبيب أمام الأطفال — أو من هم مثلهم عقلا وفهماً — في : أيهما أعرف من صاحبه بالأغذية المفيدة والضارة؟

لا تخذل الطبيب وباء بالخسران المبين[4]

وإذاً فهذا هو ما أدعوه « بالملق » يا بولوس ، وما أدعي أنه شنيع وكريه ، لأنه يهتم باللذائذ (الحسية) ويهمل الخيرات . وأنا أوجه ذلك التأكيد إليك وأضيف إليه أنه ليس بفن ؛ ولكنه مجرد تجربة وتمرن؛ لأنه لا يستطيع أن يبين الطبيعة الحقيقية للأشياء التي يشتغل بها ، ولا أن يقدم لها تعليلا ؛ ولذلك لا أستطيع أن أطلق « الفن » على شيء لا تفكير فيه . فإذا كنت تنازعني في ذلك فإني مستعد للدفاع عن قولي ! ... (لا ينطق بولوس)

وأستطيع أن أكرر ثانية أن الملق المتعلق بالطهي ينزلق تحت الطب ويتخفى فيه ؛ وأن التزين (أو التبهرج) ينزلق بالمثل تحت الرياضة البدنية ويصبح شيئاً مؤذياً خداعاً دنيئاً غير جدير بالانسان الحر ؛ لأنه يعمل على تمويه الصور والأشكال، والألوان والأثواب ، والبريق والصقال ، كما يجلب للمرء جمالا مصطنعاً ، ويصرفه بذلك عن الجمال الطبيعي الذي تستطيع أن تقدمه الرياضة البدنية[1]

وجريا وراء الاختصار سأحدثك بمنطق الهندسة لأنك قد تفهمني إذا خاطبتك بهذا المنطق فهما أدق وأصح . — : إن التزين بالنسبة للرياضة البدنية كالطهي بالنسبة للصحة . وبالأحرى التزين بالنسبة للرياضة كالسفسطة بالنسبة للتشريع ، والطهي بالنسبة للطب كالبيان بالنسبة للعدالة .[2] وتلك هي الفروق الطبيعية بين هذه الأشياء ، ولكنها لما كانت متقاربة فيما بينها فان الخطباء والسفسطائيين يختلط فيهم الحابل بالنابل على نفس الأرض ؛ وحول نفس الموضوعات ؛ ولا يعرفون ماذا عسى أن تكون وظيفتهم الحق ؛ كما لا يقل الناس عنهم جهلا بهذه الوظيفة ... ، والحق أن النفس إذا كانت لا تحكم الجسد ، وكان هو المتصرف في أمر نفسه بحيث لا تختبر هي الأشياء بذاتها ولا تفرق بين الطهي والطب ، وكان هو الذي يحكم وحده تبعاً لما يحصل عليه من اللذات ، : أقول: الحق أن لو كان الأمر كذلك لرأينا في الغالب تلك « الفوضى » التي تعرفها يا عزيزي بولوس ، والتي ذكرها « أناجساجور » « Anaxagore » في قوله « كان حابل الأشياء يختلط بنابلها ! »[3] ، ولكننا لا نستطيع أن نفرق بين ما يختص بالطب ، وما يختص بالصحة أو الطهي !! ..

فها قد سمعت ما أعتقده في البيان وعرفت أني أعتبره للنفس كالطهي للجسم !!! وقد يكون من التناقض أن أحرم عليك الأقوال المسهبة وأضطرك مع ذلك إلى الانصات إلي هكذا طويلا؛ ولكني جدير في الواقع بالعذر؛ لأني عندما كنت أتكلم بإيجاز كنت ألاحظ أنك لا تفهمني ولا تستطيع أن تخرج بشيء من أقوالي ؛ فوجب لذلك أن أقدم لك الشروح الكافية ؛ وإذا رأيت

(١) بالنسبة للانسان بالطبع (المعرب)
(٢) زدناها من عندنا لانسجام المعنى (المعرب)
(٣) عند الحمق بالطبع (المعرب)
(٤) في الأصل « مات الطبيب جوعا » ونستطيع أن نقيس على هذا المثل حوادث ومواقف كثيرة (المعرب)

(١) جدير بساساتنا أن يستمعوا لقول أفلاطون كما رأينا الفتيات في ألمانيا والنمسا يستمعن له (المعرب)
(٢) البيان في عرف جورجياس ومن على شاكلته (المعرب)
(٣) أناجساجور فيلسوف طبيعي عاش قبل سقراط بقليل . وله كتاب في الطبيعة ذكر فيه أن الأشياء كانت في المبدأ في فوضى عقيمة وأن العقل — أي الله — هو الذي نظمها فاستقام بذلك نظام العالم (المعرب)

بدورى غموضا فى إجابتك فتستطيع أن تبسطها مثلى . أما إذا فهمتها فاتركنى أقنعُ بها لأن ذلك من حقى . ويسرنى الآن أن أسمع ما فى مقدورك أن تذكره عن حديثى . !

ب — وماذا قلت ؟ أتدعى أن البيان مجرد تملق ورياء ؟

ط — لقد قلت إنه قسم من الملق فحسب ! . أفيحتاج شبابك يابولوس إلى ذاكرة ؟

وماذا يكون شأنك غدا إذا ما تقدمت بك السن ؟

ب — أتعتقد أن الخطباء المجيدين يعدون فى المدن كالمتملقين وأنهم لذلك أقل احتراما ؟؟

ط — أذلك سؤال توجهه إلىّ أم هو حديث ستشرع فيه ؟

ب — إنه سؤال

ط — حسن . فأنا ممن يعتقدون أنهم غير محترمين على الاطلاق ... !

ب — وكيف يكونون كذلك وهم أقوياء وجدّ أقوياء فى الدول ؟

ط — ذلك إذا كنت تعد « القوة » خيراً لمن يتملكها !

ب — إنى لأعدها كذلك !

ط — حسن . ولكنى أرى أن الخطباء أضعف المواطنين قوة وبأساً !

ب — وكيف ؟ ألا يستطيعون أن يقتلوا من يشاؤون ، وأن ينهبوا أموال من يسرهم أن يفعلوا معه ذلك ثم ينفونه إلى الخارج كما يفعل الجبابرة الطغاة ؟ (١)

ط — إنى لأسأل نفسى — وحق الكلب (٢) — يابولوس عند كل كلمة تقولها لا أعرف إذا كنت تتكلم بلسان أستاذك ، أم تعبر عن رأيك الشخصى ، أم تبغى رأيى فحسب

ب — إنى لأبغى رأيك أنت !

ط — لكن يا صديقى ! ولكنك توجه إلىّ سؤالين دفعة واحدة ... !

ب — وكيف ذلك ؟

ط — ألم تقل منذ لحظة أنهم يقتلون من يشاؤون كما يفعل الجبابرة الطغاة ، وينهبون وينفون من يسرهم أن يفعلوا معه ذلك ؟

ب — بلى !

ط — حسن ! أرى أن هذين سؤالين مختلفين ، وسأجيب على أحدهما ثم على الآخر : إنى أعتقد يابولوس أن الخطباء والطغاة لا يملكون فى الحكومات إلا قدراً ضئيلاً جداً من القوة كما ذكرتُ منذ لحظة ؛ لأنهم لا يعملون تقريباً شيئاً مما يريدون ؛ وإن كانوا ينفذون مع ذلك ما يلوح لهم أنه أفضل الأشياء !

ب — حسن . ولكن أليس هذا « قوة » ؟

ط — كلا ! وعلى الأقل بالنسبة لما يقول بولوس !

ب — وهل قلت « كلا » ؟ لقد قلت على النقيض إن ذلك « قوة » !

ط — كلا وحق الإله ! إنك لا تقول ذلك ما دمت قد أكدت أن « القوة » العظيمة خير لمن يمتلكها !!

ب — أتعتقد أنه من الخير للمرء أن ينفذ ما يبدو له كأفضل الأفعال إذا ما كان مسلوب العقل ؟ وهل تسمى مثل هذه الحال « قوة كبيرة » ؟

ب — كلا !! (١)

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) ذلك هو منطق الساسة الحمقاء فى العصر الحاضر وفى جميع العصور! وتعتقد بعض الحكومات أنها تكون قوية ، ما دامت قادرة على ذلك . ولكن ليتها تستمع الى أفلاطون الذى يثبت لها أنها بقوتها هذه أضعف من الذباب ! (المعرب)

(٢) سبق أن ذكرنا أن البعض يرجع ذلك الكلب للاله أنوبيس المصرى (المعرب)

(١) لا نظن القارئ الكريم فى حاجة إلى التنبيه إلى براعة الحوار فى هذا العدد وقوة بيانه. وسنرى فى العدد القادم إن شاء الله كيف يناقش سقراط قضية « القوة » ويمزقها تمزيقا (المعرب)

التاريخ في سير أبطاله

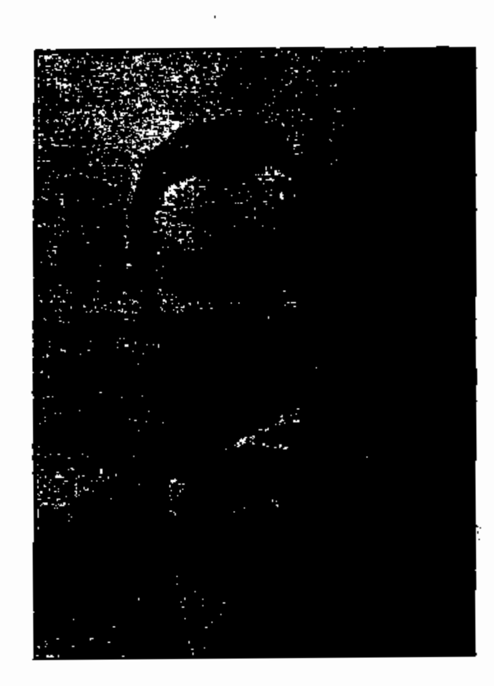
ابراهام لنــــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في أسمى الأعلى من سيرة هــذا العصامي العظيم ... ...

— ٢١ —



وأقام لنكولن في الفندق ينتظر يوم الاحتفال ؛ وإنه ليحس أنه كالغريب في هذه المدينة العظيمة ؛ ولقد كان كثير من أهلها يتوقعون قبل وصوله أن تصلهم الأنباء عن مقتله في الطريق ؛ فلما فوت على الماكرين قصدهم ودخل المدينة ولم تزل غافية أصاب المؤتمرين به كمد وغم ؛ ولــكن هل فاتت الفرصة فلا سبيل لهم إليه بعدها ؟ كلا فما زال الــكائدون يتربصون به حتى لقد سرت في الناس إشاعة قوية أنه لن يحتفل بالرئيس الجديد ؛ وأنه راجع إلى سبرنجفيلد قبل ذلك اليوم حياً أو ميتاً ...

وكانت المدينة إلى أهل الجنوب أكثر ميلاً منها إلى أهل الشمال ؛ وكان سادتها وكبراؤها ممن يقتنون العبيد ويتمسكون بنظام العبيد ؛ وكانت تقع عين القادم إلى المدينة على العبيد رائحين غادين ؛ ولقد كان هذا منظراً تنفر منه عينا لنكولن وهو يطل على المدينة من الفندق ... وكان ذوو النفوذ من أهلها يكرهون الجمهوريين ويسمونهم الجمهوريين السود ... لذلك أحس إبراهام أنه في جو غير جوه كالنبات نقل إلى حيث لا يجــدى معه رى ولا ينفع غذاء

وجلس إبراهام يفكر ويتدبر ، فاذا امتد إلي الحاضر فكره رأى كيف تشيع الفتنة وكيف يستفحل الشر ، وكيف يزلزل بناء الاتحاد حتى ليوشك أن ينهار ... وإذا استشرفت للمستقبل نفسه رأى ظلمات فوقها ظلمات ؛ فالحرب كما يبــدو له واقعة لا محالة ، ما لم يقع ما ليس في حسبان أحد ... وهى إذا شبت نارها واستمرت اكتوى بسعيرها أبناء الوطن الواحد وأصحاب المصلحة الواحدة ؛ إنها حرب سوف تــكون بين نصفى شعب بقاؤه وسعادته لن يكونا إلا في اتحاد كلمته والتئام شمله ...

وليت الفتنة اقتصرت على الناس ولم تمتد إلى الحــكومة ؛ إذاً لــكانت أهون على الرئيس وعلى الشعب . . هاهى ذى تندس حتى تتغلغل في وحدات الجيش والبحرية والسادة المسؤولين من رجال الدولة ؛ ولقد وقف بيوكانون حائراً لايدرى ما يأخذ مما يدع حتى لم يعــد في إمكانه أن يحسم الشر ؛ فكان بذلك وجوده على رأس الحــكومة يومئذ شراً على شر

ولكن إبراهام لم يكن بيوكانون ؛ وحسبه عزمه المصمم الجبار في هذا الموقف الرهيب؛ هذا إلى إخلاصه وكراهته للعدوان ويقينه الذى لا يداخله شك ولا يحوم حوله شيء مما ينسج الباطل من وهم وما يصور من ريبة

ولقد أشفق من لم يكونوا يعرفونه ، بل لقــد جزع بعض الناس أن تلقى أزمة الحــكم في مثل هذه الظروف في يدى رجل هو في زعمهم لم تحســن يداه أن تقبضا على شيء غير المعول؛ وعجبوا أن تترك الأمور للرجل القادم من الغرب ... لذلك المحامى الذى كان من قبل يخطط الأرض ويوزع البريد ؛ والذى نشأ بين الأحراج ونما كما ينمو وحشى النبات ... وسخط أعداؤه ممن لا يجهلون مقدرته واشتد بهم الغيظ ألا يجلس في كرسي الرياسة يومئذ إلا هذا الجمهورى الأســود ! هذا الذى يمد في الجمهوريين

كبيرهم الذي ألممهم ما يلوكونه من عبارات تؤذي الأسماع وتحز القلوب وتقبض الصدور ...

أما الذين عرفوا لنكولن وعرفوا خلاله فما خالطهم شك أنه الرجل الذي ليس غيره في الرجال تكون على يده السلامة ويتم الخلاص .. والحق لقد خلقت الحوادث هذه الأزمة وخلقت في الوقت نفسه الرجل الذي ينهض لها والذي لن يقوى على حمل أعبائها سواه .. ولو لم يكن في أمريكا في تلك الأيام ذلك الرجل الذي أخرجته أحراجها لتغير تاريخها باتخاذه وجهة غير التي سار فيها

وإنا لنرى في ابراهام أحد الأفذاذ الذين يبرهنون بأعمالهم على فساد الرأي القائل بأن الظروف هي التي تخلق العظماء؛ فهذا رجل نجم عن أبوين فقيرين ودرج بين أحراج الغابة وألفافها؛ فلما واجه الحياة وأخذ يعول نفسه راح يشق طريقه في زحمتها ومفاوزها كما كان يشق طريقه بين الأدغال، ولا عاصم له مما يحيط به من مخاوف إلا عزيمته وفتوته

راح ابراهام يستقبل الحياة ويمشي في مناكبها، وكأن الظروف كلها من عدوه؛ فما زال يغالب الظروف وتغالبه، ويعركها وتعركه، حتى وصل إلى مركز الرياسة في قومه، دون أن يستمد العون مرة من أحد؛ أو تكون له وسيلة من جاه أومال؛ أو حظوة عند ذي قوة، أو غير هذا وذاك مما يبتغي به الناس الوسائل إلى ما يطمحون إليه من غايات ...

ولما أن بلغ هذا المركز كانت البلاد كما أسلفنا تتوثب فيها الفتنة ويتحفز الشر؛ فكانت الظروف يومئذ كأسوأ ما تكون الظروف؛ ولكنه على الرغم من ذلك سار إلى غايته غير خائف ولا وان ولا منصرف عن وجهته إلى وجهة غيرها حتى عقد له النصر وتم له أداء رسالته ...

وكيف لعمري تخلق الظروف العظماء؟ وكيف يسمى عظيما ذلك الذي تخدمه الظروف فلا يكون له من فضل إلا ما يجيء عن طريق المصادفة؟ ألا إن العظيم الحق إنما هو الذي تخاصمه الظروف فينجح على رغم ما تكيد له الظروف؛ وتتجهم له الأيام فيقدم على المظائم على الرغم من تجهم الأيام، وتعترضه الصعاب الشداد فلا تثني له عزمه أشد الصعاب. بذلك تكون الظروف هي التي تخلق العظماء؛ فيكون الرجل الذي يظهر عليها ويظفر على الرغم منها هو العظيم، ويكون في ذلك كالدر تطهر النار جوهره

لبث إبراهام في الفندق ينتظر حتى يتخلى له بيوكانون الشيخ عن قيادة السفينة؛ وكان إبراهام يستمع إلى دوي العاصفة يزداد يوماً بعد يوم فيتلفت فلا يرى حوله غير سيوارد؛ ولكن سيوارد وصاحبه لا يلبث أن يدب بينهما خلاف شديد؛ فلقد كبر على سيوارد ألا يشاوره أبراهام في الخطبة التي أعدها ليوم الاحتفال وكان قد كتبها قبل أن يسافر من سبرنجفيلد ...

وعلم إبراهام بالأمر فأتى بالخطبة بين يدي صاحبه؛ فاقترح عليه أن يغير فيها أشياء وأن يضيف إليها أشياء، فلم ير إبراهام رأيه؛ على أنه قبل أن يضيف إلى الخطبة خاتمة كتبها سيوارد وتناولها إبراهام بالتغيير ليلتئم أسلوبها مع أسلوب الخطبة؛ وظن إبراهام أنه أرضى بذلك صديقه ... ولكنه فوجئ في اليوم السابق ليوم الاحتفال بخطاب من عند صاحبه ينبئه فيه أنه يتحلل من وعده الذي سبق أن قطعه على نفسه بالاشتراك معه في الحكم؛ وطوى إبراهام الخطاب متألماً مكتئباً ... ألا ما أشد عنت الأيام! حتى سيوارد الذي ليس غيره ترجى منه المعونة تكون من جانبه العقبات؟ .

وأشرقت شمس اليوم الرابع من مارس عام ١٨٦١، وكان يوماً من أيام الربيع طلق المحيا رخي النسائم ... فخرج الناس يشهدون موكب الرئيس الجديد؛ وكان موكب الاحتفال بتولية رئيس الولايات من أعظم ما تهتم به البلاد؛ وهو في هذه المرة أجل قدراً منه في كل ما سلف من الأيام؛ وذلك لما كان يحيط بتولية إبراهام من معان تجيش بها نفوس الخصوم والأنصار

وقضى إبراهام صباح ذلك اليوم يقرأ خطبته من جديد ويهذبها بالحذف والإضافة، حتى متع النهار فجاء بيوكانون إلى الفندق في عربة فركب معه إبراهام، والناس على طول الطريق إلى بناء المحافظة (الكابتول) تقع أعينهم على الرجلين، فهذا هو الرئيس القديم يشيع في رأسه الشيب ويبدو على بدنه ومحياه الهزال من أثر السنين ومن أثر ما حمل من عبء أوشك أن يلقيه وقد أربى على السبعين ... وهذا هو الرئيس الجديد يبدو قوياً فتياً وهو يومئذ في الثانية والخمسين؛ هذا هو الرجل القادم من

الترب؟ هذا هو ابن الغابة ... هذا هو النجار تملأ الأعين قامته الطويلة التي تلوح للأعين أكثر طولا إلى جانب صاحبه الشيخ الضئيل ... وهو يرتدى اليوم حلة ما ارتدى مثلها من قبل ، حلة ارتضتها له ماري وهيأتها لذلك اليوم ، ثم هو يقبض بيده الكبيرة التي أكسبها حمل المول كبرها وخشونتها ، على عصا جيلة أنيقة

وضاقت بالناس الطرقات ؛ وكان رجال الشرطة قد أبعدوا الجموع قليلاً عن حافتي الشارع ، وقد أمرهم كبيرهم ألا يسمحوا بأي عبث بالنظام مهما خيل لهم أنه تافه . وكان كبير الشرطة يخاف أن تمتد أيدى الآثمين إلى الرئيس بالعدوان إذ كانت الاشاعات قد اتخذت مجراها في كل سبيل ، وملأ الهمس بها الآذان ، ووجفت من هول الجريمة قلوب الكثيرين من المخلصين

ووصل الرئيس إلى مكان الاحتفال ، وهو مرتفع أعد لهذا الغرض ، وقد امتلأت الساحة المحيطة به بجموع من الناس حتى ما تتسع بعدهم لقدم ... وكان على مقربة من المكان تمثال وشنجطون وقد نحت من المرمر الأبيض وهو يتلألأ في ضوء الشمس وتنبعث منه معاني البطولة والعظمة والحرية والفداء ...

ووقف الرئيس الجديد يوجه الكلام للشعب جيعاً لأول مرة وقف فتى الأحراج أمام هاتيك الجموع ثبت الجنان ، مستوى القامة، مرفوع الهامة، وألقى نظرة أمامه على علية القوم من الشيوخ والأعيان ورجال الجيش ورجال الدين والقضاة وغيرهم وغيرهم ثم مد بصره في الجموع وقد سكنت ريحهم تهيأ للكلام . . . ولكن ماذا عراه ؟ لقد وقف يمسك باحدى يديه عصاه وبالأخرى قبعته ، فكيف يمسك الورق ليتلو منه خطبته ؟ ها هو ذا يسند العصا إلى الحاجز الخشبي أمامه فأين يضع القبعة ؟ لقد أوشك أن يقع في ورطة، وأوشك أن يثير ضحكات الخصوم بحيرته؛ ولكن ها هو ذا رجل يثب من مكانه وكان يجلس منه في سمت بصره ، فيأخذ القبعة من يده ... ومن هو ذلك الرجل ؟ إنه دوجلاس خصمه القديم ومنافسه ذو البأس الشديد ...

وكان دعاة الانسحاب من أنصار الجنوب يأملون أن يتهدد لنكولن الولايات الجنوبية ويتوعد ، فيشتد بذلك الهياج في تلك الولايات ويتعذر بعدها أن يجنح هؤلاء للسلم ، ولكن لنكولن خيب ظنونهم وزادهم بحكمته وحصافته وبعد نظره ويقظته غماً على غم ...

كانت خطبته خير مثال للاعتدال في غير تفريط، وللتواضع في غير استخذاء أو استسلام، وللتحذير في غير إثارة أو استفزاز، وللمرونة في غير رياء أو التواء ، وللعدالة في غير مشادة أو عناد .. كما كانت كالسلسل العذب فصاحة وسهولة ؛ ناهيك بما امتازت به من نصوع البرهان ومتانة الحجة واستقامة المنطق وجمال السبك وبراعة السياق ودقة الالمام بالموضوع ، وسعة الاحاطة بما كان يشغل الأذهان

وكان الخطيب رنان الصوت ، قوى الجرس ، وثيق الاشارات تشيع في كلامه حرارة الايمان وقوة اليقين وصدق الاخلاص فتنفذ إلى قلوب أنصاره وخصومه على السواء ؛ وإن كان خصومه ليكرهون فوزه وينكرون مبادئه ...

قال يشير إلى مخاوف أهل الجنوب : « يظهر أن المخاوف تنتشر في الولايات الجنوبية ، ومبعثها أن قبولهم الحكم الجمهورى من شأنه أن يعرض أملاكهم وسلامتهم وأمنهم على أشخاصهم للمخاطر . إنه لم يكن هناك سبب معقول لهذه المخاوف ؛ بل لقد قامت بينهم أقوى شهادة على نقيض ذلك، وكانت دائماً تحت سمعهم وبصرهم ... إنها تكاد توجد في كل خطبة من خطب ذلك الذي يحدثكم الآن ، وإنى لأقتبس من إحدى تلك الخطب حين أقول، ليس لى من غرض مباشر أو غير مباشر في التدخل في نظام العبيد في الولايات التي يقوم فيها ذلك النظام ... وإنى أعتقد أنه ليس من حقى أن أفعل ذلك ، وأن الذين رشحونى وانتخبونى إنما فعلوا ذلك وهم على علم تام أنى صرحت كثيراً بمثل هذا ، ولم أتزحزح مرة عما قلت »

ولم يقف الرئيس في اعتداله عند ذلك الحد، بل لقد ذهب إلى التصريح بأن العبد الفار إلى الولايات الحرة لا تمنح له الحرية . ولقد أشفق كثير من أنصاره من هذا التصريح ، ولكن لنكولن يستند في ذلك التصريح إلى مبادئ الحزب التي لا يمنح بمقتضاها العبد حريته إلا إذا ذهب مع سيده غير فار إلى ولاية حرة وأقام فيها

وتكلم لنكولن عن انسحاب الولايات من الاتحاد فقال : « لن يخول القانون لأية ولاية حق الانسحاب » ثم أردف قائلا إن القسم الذى أقسمه على المحافظة على الدستور يحمل لزاماً عليه أن يقوم بواجبه فيعمل على أن يكون قانون الولايات المتحدة نافذاً في جميع الولايات. واختتم الحديث في هذا الموضوع بقوله : « إنى واثق أنكم لن تحملوا على التهديد كلامى ، بل إنها كلمة

الاتحاد يعلن أنه سوف يحمي ويدعم بناءه على أساس من الدستور. وهو إذ يفعل ذلك لا يرى ثمة حاجة إلى سفك الدماء والعنف ، وسوف لايكون شيء من هذا إلا إذا أجبرت عليه السلطة القومية

وأشار إلى الوحدة من الناحية العضوية فقال إن نصف الشعب لا يستطيع أن يقوم بغير النصف الآخر ، وإذا كان في الدستور عيب فن الممكن إصلاحه على يد مؤتمر يجتمع فيه ممثلو الشعب . فاذا رأى الشعب الانفصال حقاً لكل ولاية فله رأيه وليفعل كما يرى ، أما هو فليس لديه من قوة إلا ما منحه الشعب

وتكلم عن الداعين إلى الثورة فقال إنه لا مبرر للثورة إلا إذا لجأت الأغلبية إلى الطغيان ؛ ومثل هذا المبرر لا وجود له ، وإن الانسحاب معناه الفوضى ولا نتيجة للفوضى إلا الاستبداد ...

واختتم لنكولن خطبته بتلك العبارة التي اقترحها سيوارد وتناولها هو بالتعديل قال: « لسنا أعداء بل نحن أصدقاء؛ ويجب ألا نكون أعداء . ومع أن الغضب قد جذب حبال مودتنا فيجب ألا يقطعها ؛ وإن الأناشيد الخفية التي ترن في الذاكرة منبعثة من كل ميدان من ميادين القتال ومن كل قبر من قبور الوطنيين ، إلى كل قلب حي وإلى جانب كل موقد في هذه البلاد العريضة لتزيد في جوقة الاتحاد ، إذا ما مسها من جديد كما نثق أنها ستمس — وحي من طبيعتنا

وأقسم إبراهام اليمين ويده على الانجيل . وتولى صيغة القسم القاضي تين صاحب قضية دروسكوت الشهيرة وكان يومئذ القاضي الأعلى للبلاد . وبعد أن أدى إبراهام اليمين أن يحترم الدستور ويحافظ على قوانين البلاد سار إلى البيت الأبيض ، وكان أول عمل له بعد وصوله أن تناول القلم فكتب إلى سيوارد الخطاب الآتي :

« سيدي العزيز : تسلمت رقعتك المؤرخة ٢ الجاري التي تسألني فيها أن أقبل انسحابك من الاشتراك معي في إدارة الحكم ؛ ولقد كانت رقعتك هذه سبباً لأعظم قلق عندي إيلاما ، وإني لأشعر أني مضطر إلى أن أرجوك أن تلغي هذا الانسحاب . إن الصالح العام ليدعوك أن تفعل هذا ، وإن شعوري الشخصي ليتجه في شدة في نفس الاتجاه . أرجو ان تتدبر وأن يصلني رد منك في الساعة التاسعة من صباح الغد ... خادمك المطيع ...»

« يتبع » الخفيف

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٥ —

تطبيقات

فرغنا في مقالاتنا السابقة من ذكر مؤاخذاتنا على جماعة وزارة المعارف فيما رأته من تيسير قواعد الاعراب ، وكان سبيلنا في هذا مخالفاً لسبيل غيرنا في مؤاخذاته عليها ، لأنا نتفق معها في غايتها من الاصلاح ، فهدمنا من عملها لنبني أتم منه ، وأبطلنا من رأيها لنصل في الرأي إلى ما لا يمكن هدمه ، فتعلو به كلمة الاصلاح ، وينتصر ما تريده من التجديد النافع . وقد بلغني عن صديق لي أن عضواً بارزاً من هذه الجماعة ذكر له أنه معجب بما كتبناه في ردنا عليهم ، فلا أدري ما يمنعه من ذكر رأيه فيما كتبناه من ذلك على صفحات مجلة الرسالة الغراء ، ليتبين الحق في هذا الموضوع ونصل إلى ما تريده وزارة المعارف من الاصلاح في قواعد الاعراب

وإني أريد الآن أن أذكر تطبيقات على ما ذهبت إليه في إصلاح هذه القواعد ، ليتبين أن ما ذهبت إليه من هذا مذهب مطرد ، ورأي لا شذوذ فيه ولا اضطراب

التطبيق الأول

ألا إنَّ قلبي لدى الظاعِنينَ حزينٌ فمن ذا يُعزِّي الحزينا

(ألا) أداة استفتاح مجزومة بالسكون (إن) حرف توكيد منصوبة بالفتحة (قلبي) مبتدأ منصوب بفتحة مقدرة قبل ياء التكلم ، وهو مضاف وياء التكلم مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على آخره (لدى) ظرف مكان منصوب بفتحة مقدرة على آخره ، وهو متعلق بحزين مقدم عليه ، ولدى مضاف والظاعنين مضاف إليه مجرور بالياء نيابة عن الكسرة (حزين) خبر المبتدأ مرفوع بالضمة (فمن ذا) الفاء للتفريع منصوبة بالفتحة ، ومن اسم استفهام مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة في آخره

وذا خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة فى آخره (يعزى) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة فى آخره ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره هو (الحزن) مفعول به منصوب بالفتحة ، ولا داعى إلى ذكر أن الجملة صلة لا محل لها من الاعراب ، وإنما يعنى بتقدير الاعراب فى الجمل التى لها حظ منه

التطبيق الثانى

بِبذلٍ وحلمٍ ساد فى قومه الفتى   وكَوْنُكَ إيّاه عليك يسير

(ببذل) الباء حرف جر مجرور بالكسرة ، وبذل مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة فى آخره ، والجار والمجرور متعلق بساد (وحلم) الواو حرف عطف منصوب بالفتحة ، وحلم معطوف على بذل مجرور بالكسرة (ساد) فعل ماض منصوب بالفتحة (فى قومه) فى حرف جر مجزوم بالسكون ، وقوم مجرور بفى وعلامة جره الكسرة ، وقوم مضاف والضمير مضاف إليه مجرور بكسرة فى آخره (الفتى) فاعل مرفوع بضمة مقدرة (وكونك) الواو حرف عطف منصوب بالفتحة ، وكون مبتدأ أول مرفوع بالضمة ، والكاف المضاف إليه مبتدأ ثان مرفوع بضمة مقدرة (إياه) خبر المبتدإ الثانى منصوب بفتحة مقدرة فى آخره (عليك) على حرف جر مجزوم بالسكون ، والكاف مجرور به وعلامة جره كسرة مقدرة ، والجار والمجرور متعلق بيسير (يسير) خبر المبتدإ الأول مرفوع بالضمة

ولا غرابة فى أن يكون المضاف إليه مبتدءا فى هذا البيت ، فان هذا هو الواقع فى أمره ، أما إعرابه اسما للكون فانه هو الغريب فى الحقيقة ، لأن المضاف إليه ليس اسما له ، وإذا كان لنا مبتدأ مجرور بالحرف فى نحو — زيد فتى — فانه لا يكون هناك غرابة فى أن يكون لنا مبتدأ مجرور بالاضافة فى ذلك المثال ونحوه .

التطبيق الثالث

يُغْضِى حياء ويغضَى من مهابته
فما يُكلَّمُ إلا حين يبتسم

(يغضى) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره هو (حياء) مفعول لأجله منصوب بالفتحة (ويغضى) الواو حرف عطف منصوب بالفتحة ، ويغضى فعل مضارع محذوف الفاعل مرفوع بضمة مقدرة (من مهابته) من حرف جر مجزوم بالسكون ، ومهابة مجرور بمن وعلامة جره الكسرة ، وهو مضاف والهاء مضاف إليه مجرور بالكسرة والجار والمجرور متعلق بقوله يغضى (فما يكلم) الفاء للتفريع منصوبة بالفتحة ، وما نافية مجزومة بالسكون ، ويكلم فعل مضارع محذوف الفاعل مرفوع بالضمة ، والمفعول ضمير مستتر جوازاً تقديره هو (إلا) أداة استثناء مجزومة بالسكون (حين) ظرف زمان منصوب بالفتحة (يبتسم) فعل مضارع مرفوع بالضمة ، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو ، والجملة من الفعل والفاعل مضافة إلى حين مجرورة بكسرة مقدرة

وفى هذه التطبيقات الثلاثة كفاية

« تم البحث »   أزهرى

منتخبات من بلاغة الغرب

الجزء الأول

للأستاذ محمد كامل حجاج

... أما كنت تتركين بغير أن أشعر المزح ، ثم تتسربين دون ارتباك إلى الابتسام متنقلة إلى التأوه ومنه إلى ذرف العبرات . فما عليك إلا أن تنتقلى برشاقتك المعهودة من البكاء إلى القبلة ، فما يخشى منها إلا ارتعاش خفيف !

روكسان :

اطبق فاك أيها الأفاك

سيرانو :

القبلة ما القبلة ؟ وما أدراك ما القبلة ! قسم أو وعد أو اعتراف يحقق ، أو نقطة وردية توضع تحت باء كلمة الحب ، بل سر مكتوم يلقفه الفم بدل السمع ، أو لحظة جمت فأوعت من الهناء مالا يبلغه الوصف والحصر . لها دوى كدوى النحل ، بل تناول طعمه معطر كالأزهار ، بل إنها وسيلة يستنشق بها رائحة القلب ويذاق بها من حافة الشفاه طعم الروح

ادموند روستاند

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للأستاذ محمد شوقي أمين

— ١ —

لفظه . تعريبه . الابدال من حروفه . مستعمله في الأدب . واحده . جمعه . معناه . رحلته إلى العرب . إطعامه الناس . تهيب ذوي الورع إياه . رحلة أعرابي إليه .

— ١ —

الفالوذج كلة فارسية النشأة ، أصل منطقها على ألسنة أهلها : پالوذة[١] ، فأول حروفها : الباء التي بين الباء والفاء ، أو المخلوطة بالفاء على تعبير الشهاب الخفاجي[٢] . وختامها : الهاء الساكنة على أصل اللسان الفارسي[٣] . ومن حروفها الذال المعجمة كما في الكثير الأكثر من كتب اللغة وأقوال الأئمة . ولكن الشيرازي محمداً علياً قال : إن الفالوذج معرب عن پالوده بالدال المهملة[٤] . وهذا يؤيد ما نقلته المعجمات المؤلفة لهـذا العهد من قولها : إن الفالودج بالمهملة ، لغة فيها بالمعجمة[٥] . والشيرازي من نبعة الفرس ، فهو يتحدث عن لغة قومه . فخليق بنا أن نرجع إليه ، ونعول عليه ، وندع ما لكسرى لقوم كسرى !

وقد عرّب العرب هـذه الكلمة ، بعد تشذيب وتثقيف ، مبالغة في تحقيق الجنسية اللغوية[٦] ، كما يقول الرافعي ، فقد سموا بالحرف الأول المترجح بين الفاء والباء ، إلى الفاء ، إذ كان هذا الحرف المذبذب ليس في عداد الأصلي من حروف الفصحى ، واستبدلوا الذال بالدال ، كما صنعوا في سَذَاب وساذَج وباذَق ، فالذال عوض من الدال الفارسية في هـذه الألفاظ . ثم جعلوا الهاء جيما[٧] ، على أسلوبهم الأغلبيّ في التعريب[٨] . فقالوا : فالوذج ، ولم يرتض هـذا الابدال الأخير جمع من نقدة اللغة ، فقالوا : بل تبدل الهاء قافا[١] ، وهي طريقة العرب كذلك[٢] ، أو تحذف الهاء دون إبدال ، وعلى هـذا القول المخيَّر بين اثنتين من الحذف أو إلحاق القاف : تَاسَمح فقهاء اللغة ، فما إن تجد في المعجمات الوثيقة وما في حكمها إلا : الفالوذ ، أو الفالوذق

فأما مناهل الأدب والتاريخ ، ومكانز النوادر والطرف ، فقد آثرت كلة الفالوذج على هذا الوجه ، فهي ثَمَّ مستعملة سائرة ، لا يُعدل عنهـا إلا في الندرة والفلتات . وهي كذلك في أكثر شعر الشعراء بين قديم ومحدث ، ولا سيما عصر بني العباس . وما أجدر ذلك على اجتماعه أن يكون برهاناً قائماً على أن جمهور الأمة العربية كان يجري على إبدال الهاء جيماً ، وأن اللفظ قد ذاع على هذه الصـورة أول ما ذاع . فتلقفته الألسن بعد ذلك عصراً في أثر عصر ، وبقي التصحيح اللغوي أثراً مهجوراً لا يقتفيه أحد في صحراء المعجمات !

والطائفة من هذه الحلواء : فالوذجة ، كما قال السيرافيّ ،[٣] وهذا قول يَعُدُّ كلة الفالوذج في أسماء الأجناس التي يُفرق بينها وبين واحدها بالتاء ، كتمر وتمرة ، وبطيخ وبطيخة . وهي قياس في المخلوقات ، سماع في المصنوعات ، فما يجيء من هذه مُشَبَّه بما جاء من تلك[٤]

ولو أريد جمع الفالوذج جمعاً صناعياً على ما ينقاس في مثله ، لكان أقرب شيء متناولاً جمع الألف والتاء ، كما هو مفهوم قول سيبويه[٥] ، وصريح رأي ابن عصفور[٦] . فيكون : الفالوذجات . ولم يقع لي هذا الجمع فيما قرأت . بيد أن الزمخشري أثبت جمع الفالوذ على فواليذ ، في سجعة من أسجاعه الرقاق[٧] . ولست أحُق : أذلك منه تطبيق على القواعد وصناعة ، أم نقل للمأثور ، أم تقييد لسماع ؟ لم ينته إليّ من علم ذلك إلا أن الجمع صحيح على أية خطة ![٨]

وقد ذكر أبو علي الفارسي أن الكلمة الفارسية ترجمتها : الحافظ الدماغ[٩] ؛ ويبدو أن هذا التفسير كان متعارفاً للخاصة من العرب حين حليّت موائدهم بالفالوذج وحلت . والدلالة على

(١) شفاء الغليل (حرف الفاء) (٢) مقدمة الشفاء
(٣) تاج العروس (٤) معيار اللغة
(٥) أقرب الموارد ، ومحيط المحيط ، ومعجم استنجاس
(٦) تاريخ آداب العرب (الأول — ١٩٩)
(٧) التاج (٨) الجاسوس على القاموس

(١) الصحاح (٢) كتاب سيبويه (الثاني — ٣٤٣)
(٣) المخصص (الخامس — ٢٠) (٤) شرح المفصل (الخامس — ٧١)
(٥) الكتاب (الثاني — ١٩٨)
(٦) همع الهوامع (الاول — ٢٣)
(٧) أساس البلاغة (٨) الاشموني (الرابع — ١٤١)
(٩) المخصص (الخامس — ٢٠)

ذلك فيما يُحكى عن الخليفة الأموي : سليمان بن عبد الملك [1] ؛ فقد كان أعرابي على مائدته يسرع في الفالوذج . فمازحه سليمان بقوله : أأزيدك منه يا أعرابي ، فانهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ ؟ فقال الأعرابي : كذبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل !

فلم يَبتئس سليمان ، واحتملها منه ، ولم يحتملها له

— ٢ —

وكلمة الفالوذج تدل على حلواء ليست من أطعمة العرب ، وإنما هي من جملة ما اجتلبوه من موائد الفرس في مستهل الحضارة ، قبيل فجر الاسلام . وقد حكى أن عبد الله بن جُدعان التيمي [2] ، وهو الملقب بحاسي الذهب ، لأنه كان يشرب في إناء ذهبي ، وفد على كسرى مرة ، وأكل عنده الفالوذج ، فتعجب منه ، وسأل عن حقيقته ، فلما أجيب بصفته ، ابتاع من بين الفرس غلاماً يحسن صُنعه ، ورجع به إلى مكة ، ثم تحركت به أريحيته إلى أن يطعم الناس عامة جديد هذه الحلواء . فبسط الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فاستجاب له الخلق من كل فج ، وكان ممن حضر أمية بن أبي الصلت . فقال يمدحه من قصيدة : [3]

لكل قبيلة هاد ورأس ... وأنت الرأس تقدم كل هادِ
عماد الخيف قد علمت معدٌّ ... وإن البيت يرفع بالعمادِ
له داع بمكة مُشْمَعِلٌّ ... وآخر فوق دارته ينادي
إلى ردح من الشيزَى ملاء ... لباب البُرِّ يُلْبَكُ بالشهادِ
ومالي لا أحييه وعندي ... مواهب يطّلعن من النِّجادِ؟

ولما حفلت موائد الهِلية والسراة من العرب المتحضرين بالفالوذج ، طوفت في شأنه الأقاويل ، فتهيبه ذوو الورع ، إذ كان المسلمون حديثي عهد بالحنيفية ، يتعففون عن كل ما تطالعهم به الأمم المخيلة في مختلف أسباب الحياة ، وبخاصة المتع واللذائذ ، قانعين من شئون اجتماعهم بما أشرقت عليه شمس الاسلام ، وما رأى النبي صلوات الله عليه الناس يأكلونه فلم ينههم عنه . فإنه ليحكى أن الحسن البصري [4] — إمام الفقه والفتوى — سمع رجلا يعيب الفالوذج ، فذكر له الحسن أخلاطه التي يبنى عليها، وقال : ما عاب هذا مسلم !... وعلم الحسن [1] كذلك أن رجلا يتنزه أن يأكله ، فراجعه ، فقال الرجل : يا أبا سعيد ، أخاف ألا أؤدي شكره ، فقال الحسن : يالكع ، وهل تؤدي شكر الماء البارد ؟ ثم تلا عليه قول الله : يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم .

ويظهر أن انتشار الفالوذج في الأمصار العربية والحواضر ، وتضوُّع أخباره في البوادي ، شوق الأعراب إلى استكناه هذا الطعام الموصوف ، فاني لأنسى ولا أنسى نادرة يقطر منها ماء الظرف ، وقعت لي في بعض القراءات ، وهي أن أعرابيا خرج يضرب آباط الابل إلى حضَر المسلمين ، يسأل : ما الفالوذج ؟ ولم يُبَرِّدْ ظهر مطيته حتى وُصف له ، فلما سمع الوصف تمطّق ، ثم قال : إي والله ! لو نزلت هذه الصفة في القرآن لكانت موضع سجدة ... وهكذا كشفت تلك الرحلة الفالوذجية الناجية ، أمنية أدعى إلى العجب ، وهي أن تنزل صفة الفالوذج في محكم الكتاب : سورة الحلاوى !!

« للبحث صلة »

محمد شوقي أمين

(١) العقد الفريد (٤ — ٢٩٤)

(١) العقد الفريد (الثاني — ٣٠٧) (٢) بلوغ الأرب (الأول — ٣٨٠)
(٣) اللآلئ البكري (الأول — ٣٦٣)
(٤) البيان والتبين (الأول — ٣١)

حول الطريقة التجانية

للشيخ محمد الحافظ التجانى

شيخ هذه الطريقة بمصر

قرأت فى العدد (٢٦٦) من مجلة الرسالة أسئلة من ألبانيا إلى الأستاذ الحجوي وهذا نص السؤال :

« إن الطريقة التجانية المنتشرة فى أكثر البلاد حتى البلاد الأرناؤودية ولا سيما بلدتنا أشقودرة هل المندمج فيها غير مناف للشريعة الغراء؟ ومنتسبو تلك الطريقة يدعون أفضلية قراءة (صلاة الفاتح) لما أغلق على تلاوة القرآن ستة آلاف مرة وهو أكبر الأذكار متأولين بأن ذلك بالنسبة لمن لم يتأدب بآداب القرآن كما فصله فى كتاب جواهر المعانى المنسوب إلى التجانية، وأن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بتلك الصلاة الخاصة إنما يترتب عليها الثواب إذا اعتقد أنها من كلام الله القديم من قوله عليه السلام : « من صلى علىّ مرة صلى الله عليه عشراً » ، وأن تلك الصلاة مع فضيلتها بتلك الغاية لم يعلمها النبى عليه السلام لأحد إلا لمؤسس تلك الطريقة . وفى ذلك مالا يخفى من لزوم الكتمان ومنافاته للتبليغ المأمور به عليه السلام؟ وأن مؤسس تلك الطريقة أفضل الأولياء مع أن الاجماع هو أن الأفضل بعد نبينا محمد عليه السلام ، الخلفاء الأربعة على الترتيب المعلوم ؟ وأن من انتسب إلى تلك الطريقة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وتغفر ذنوبه الكبار والصغار حتى التبعات وغير ذلك مما هو مبسوط فى الكتب التجانية »

وحيث أننا — أهل هذه الطريقة أحق الناس ببيان ما نحن عليه — وكان فى تلك الأسئلة تحريف عن الحقيقة التى عرفناها ونقلناها عن شيوخنا قاطبة ، فإنى أعلن بلسان كل من ينتسب إلى هذه الطريقة أن من يعتقد أن صلاة الفاتح أو غيرها من الصلوات أفضل من القرآن فهو ضال مضل ما عرف الاسلام؛ وليس هنالك فى طريقتنا من يعتقد تلك العقيدة الزائفة ، وقد قال شيخ الطريقة الأكبر فى جواهر المعانى :

أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم فى استقراءات الشرع وأصوله شهدت به الآثار الصحيحة

أما الذى نقول به فهو أن من لم يحسن أدب تلاوة الكتاب الواجبة ، فلأن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل له من أن يتلو القرآن وهو مخل بشروط تلاوته . فالمقارنة فى حال التالى لا فى المتلو فانه لا خلاف فى أفضلية القرآن . فأى شىء فى ذلك وهو الذى يقول به العلماء ؟

على أنه لا حرج فى رجاء الاثابة على العمل القليل بالجزاء الكثير ، وإن كان العامل لا يستحقه ولا العمل، والفضل الالهى يتسع لاثابة المؤمن على تسبيحة واحدة بجزاء عمل كثير من محض الفضل الالهى بغير استحقاق . وقد صح فى التأمين والتسبيح والذكر شىء من ذلك . وليس هذا من باب تفضيل غير القرآن على القرآن بأى وجه من الوجوه . ولا يذكر هذا ليتكل عليه المؤمنون فالمؤمن يعمل ويخاف ويرجو — وعدم الأمن أصل فى العمل بالطريق — ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون — ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . وإن من مكارم الأخلاق حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله

وليس هنالك فى طريقتنا من يعتقد أن الشيخ أفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعم السائل

وقد صرح فى جواهر المعانى أنهم أفضل ممن بعدهم مستدلا بما روى عنه صلى الله عليه وسلم : (إن الله اصطفى أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين) وقال : أعمالنا معهم كسير النملة مع سرعة طيران القطاة . وذكر أن أعمال من بعدهم فى صحيفتهم. أما دعوى تفضيله على النبيين فهى دعوى لا تستحق أن يلتفت إليها لوضوح بطلانها

أما صلاة الفاتح ودعوى أن أهل الطريقة يقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم كتمها عن أصحابه وأعطاها للشيخ وكونها من كلام الله القديم ، فهذه الصلاة موجودة قبل الشيخ ، وهى منسوبة لسيدى محمد البكرى وهو موجود قبل ولاة الشيخ بزمن

طويل ، فكيف تكون مكتومة ؟ ومن نسب الكتمان له صلى الله عليه وسلم فيما أمر بتبليغه فهو كافر مرتد . وكذلك من اعتقد أنها من أي نوع من أنواع وحي النبوة . ولم يقل أحد عندنا إنها من الأحاديث القدسية . والذي حققه حجة هذه الطريقة سيدي العربي بن السائح في كتابه (بغية المستفيد) أنها يصح أن تكون من الالهام الذي يجوز للأولياء ا هـ

قال صلى الله عليه وسلم : (ذهبت النبوة وبقيت المبشرات . قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له)

والرؤيا ليست بقاصرة على ما يراه المرء في نومه كما هو معروف في اللغة. وذكر الحافظ بن حجر في شرح حديث ابن عباس هي رؤيا عين أريها صلى الله عليه وسلم الخ في البخاري فيصح أن تشمل ما هو معروف بالالهام والمشاعر والوقائع والتحديث ونحوه مما حقق العلماء أنه جائز أن يكون نصيب الولي من ميراث النبوة. ويجب عرض ذلك على الشريعة فاوافقها أخذ به وما لا فلا؛ وقد يكون له تأويل كالرؤيا المنامية سواء بسواء. وصح عنه صلى الله عليه وسلم: (أنه كان فيمن قبلكم رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء)

وأهل هذه الطريقة قاطبة في أنحاء المعمورة ليس فيهم واحد على غير مذاهب أهل السنة والجماعة ، فهم حنفية أو مالكية أو شافعية أو حنابلة . ومعتقدهم معتقد أهل السنة الذي عليه الفقهاء والمحدثون والأصوليون والصوفية. وقد بلغ فيهم الكثيرون الامامة في عصرهم في أقطارهم كسيدي ابراهيم الرياحي شيخ الاسلام بتونس ، وسيدي احمد كلانباني شيخ الجماعة بفاس ، والفقيه جنون ، وسيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران ، وسيدي محمد الحافظ العلوي الشنقيطي .

وكل ما يوهم في كتبنا غير هذه العقيدة فقد تصدى علماء الطريق لبيان المراد منه وحمله على الوجه الذي يوافق ما عليه الجماعة ولنا أسوة بمن سبقنا من العلماء . أما ما نسب للشيخ رضي الله عنه مما لا يمكن تأويله ولا يمكن حمله على وجه صالح فنحن نراه كذبا عليه ونرده. وقد سئل : (أيكذب عليك ؟ قال نعم — إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع)

وقد كذب على الله والرسول والصالحين فأي حرج أن يكذب عليه ؟

وإن الواقع هو أوضح دليل على براءة الشيخ وطريقته من هذه الأكاذيب المفتراة أو التي ولدها فهم في كلامه لا نقول به بحسب صريحا وهو عندنا مؤول يحرم الأخذ بظاهره . ذلك الواقع أننا نجد أصحابه لا يقولون بها . وقد أطبق علماء الطريق من عصر الشيخ على إعلان البراءة منها صريحا وبيان أن من يعتقدها ليس في الطريق في شيء. ومعلوم أن أتباع كل امرىء أخبر الناس بما هو عليه . وصريح كلامه الذي لا إبهام فيه ولا غموض هو المرجع الصحيح، وقد تبرأ من كل قول يخالف الشرع ولم يجعل ميزانا بينه وبين أتباعه غيره .

وإذا فليس في هذه الأمور معضلة من معضلات العصر، ولكن المعضل حقيقة هو النزاع فيما بيننا معشر المسلمين ؛ ولا شك أن لأعداء الاسلام المصلحة في التفرقة

ولا أدري ألم يحن الوقت الذي يترك فيه نزاع الطوائف الاسلامية ويوضع سلاح الافتراء والتحريف وسوء الظن الذي يتحاربون به ؟ وهلا ييسر لهم من يسعى في التفاهم على أساس حسن الظن بينهم وجمع كلمتهم والتماس المعاذير لمن لعل له العذر منهم؟

وليس هذا كل ما يقال عن الطريق فقد ذهب نزاع الطوائف إلى حمل كل موهم في كتبنا على أسوأ الوجوه مما لا يخطر على بال أحد منا ولم نسمعه إلا من خصوم الطريق، وإلى أبعد من هذا، إلى التدليس كما يقال : فويل للمصلين — ويترك الذين هم عن صلاتهم ساهون، وإلى الاختلاق والكذب على التاريخ وعلى الأحياء من العلماء، ووصل حتى إلى الأمور الشخصية، وسأقدم للعالم الاسلامي مثلين واقعين من ذلك الافتراء :

فها هو ذا جواب العلامة المحدث السيد عبد الحي الكتاني أطال الله حياته على سؤال رفعته إليه عن دعوى رجل زعم أن جواهر المعاني ألفه بعض المستشرقين الفرنسيين وزعم أن الأصل موجود في مكتبة السيد

بسم الله الرحمن الرحيم   الحمد لله حق حمده

وصلى الله على سيدنا محمد وحزبه

إلى صاحب الفضيلة الشريف العلامة مولاي أبي الإقبال
السيد عبد الحي الكتاني حفظه الله آمين .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
فإن مجلة تصدر بمصر تسمى صدى الإسلام نشرت بعدد ٤
من السنة الثالثة أن كتاب جواهر المعاني إنما هو من
تأليف بعض أعداء الدين (جماعة من مستشرقي الفرنسيس)
وقال إن [illegible] الأستاذ
الكتاني [illegible] إذ هو يعلم ذلك خبيرا يحتفظ به من نسخة
الجواهر التي كتبها زعيم هذه الطائفة بإملاء من أشير إليهم
والأمر أعظم مما يذكر [illegible] وليس الخبر كالعيان الخ اهـ
وإني أرفع هذا لفضيلتكم لتتفضلوا ببيان حقيقة دعوى من
كتب هذا القول وتفضلوا يا سيدي بقبول إجلالي والسلام
محمد الحافظ التجاني
فاس ٢٤ رمضان ١٣٥٦

الحمد لله [illegible] المشرق
[illegible] كتاب جواهر المعاني المطبوع المتداول [illegible]
نسخة من الجواهر غير النسخة المطبوعة المتداولة [illegible]
[illegible]
[illegible] الكذب [illegible]
قاله وكتبه محمد عبد الحي الكتاني [illegible] بفاس ٢٥ رمضان
عام ١٣٥٦

وزعم قوم أن قبر أوريلي الفرنسية زوجة سيدي أحمد عمار حفيد الشيخ الأكبر جعلت عليه قبة ورسم عليها صليب. والحقيقة أنها ماتت مسلمة وثبت ذلك لدى الحكومة الفرنسية ودفنت بالفعل في مقابر المسلمين وليس على قبرها أثر لقبة ولا لصليب . وها هي ذي صورة قبرها بكوردان التابعة للأغواط في صحراء الجزائر . وترى قبور مجاورة لحجرة سيدي أحمد عمار ، وقبر أوريلي هو الثالث الملاصق للجدار في فضاء حديقة القصر ليس فوقه إلا السماء ، وقد وضع رجل يده على حجر قائم عليه يقابله حجر آخر عليه تاريخ وفاتها ، وأنها ماتت مسلمة بشهادة عدول مسلمين .



ولست بعد ذلك بصدد التعرض لجواب الأستاذ الحجوى لأن هذا هو الذي لدينا ونبرأ من كل ما يخالف شرع الله وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب هذه الطريق ولله الحمد من أشد الناس قياماً بالقرآن تلاوة ومدارسة ، وبالسنة علماً وعملاً ؛ وأساسها تصحيح العقيدة ، والقيام بالواجبات ، والانتهاء عن المحرمات جميعها ، والتقرب إلى الله بالنوافل على حسب الاستطاعة مع عدم الأمن — ولا واجب عندنا إلا ما أوجبه الشارع ومنه وفاء المكلف بنذره بشرطه المعروف في الفقه ، ولا مندوب إلا ما ندب إليه ، ولا حكم إلا لله

وليكتب خصوم الطريق (قائمة) بكل ما يخالف الكتاب والسنة من العقائد فنكتب تحتها: هذا باطل لا نقول به، ونستطيع أن نريهم من كلام الشيخ نفسه ما يرده . والفقهاء فيها ممن لهم الباع الطائل في الأصول والفقه كثيرون ولله الحمد، وكلهم أهل سنة واستقامة ، وقد بينوا ذلك وشرحوه .

وقد عاشرت كثيراً ممن بالمشرق والمغرب من السادة التجانيين فما وجدت أحداً منهم يعتقد شيئاً مما يتهم به أهل الطريق مما يخالف الكتاب والسنة . وعلى فرض أن جاهلا اعتقد ذلك فليس منا لمخالفته اعتقادنا ، ونحن من اعتقاده بريئون

وإذن فذلك الانكار المتفرع على تلك العقائد الزائفة لا يصلنا منه شيء ، فهو موجه إلى غيرنا ممن يعتقدها . والطريقة وشيخها وأتباعه يبرأون من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله، وليس لديهم إلا ما عليه أهل السنة والجماعة

«الزاوية التجانية بالقاهرة»   محمد الحافظ التجاني

ماضى القرويين وحاضرها

للاستاذ عبد الله كنون الحسنى

تتمة

ومنذ جريان العمل بهذا النظام والانتقادات توجه إليه من كل طبقة من الطلاب . وأحق هذه الانتقادات بالالتفات أن غالب المواد أسندت إلى من لا يحسنها ، وأن كتب الدراسة لم يدخل عليها أى تعديل . فالفقه مثلاً لا زال يدرس فى مختصر الشيخ خليل ذى الشروح المديدة والحواشى الكثيرة ؛ والنحو لازال يدرس فى الابتدائى بشرح الأزهرى للأجرومية . والألفية أبدل شرح المكدودى لها بشرح ابن الناظم وليس بذاك

على أن الذى لا يصح إنكاره من محاسن هذا النظام فضلا عن ضبطه لأوقات الدراسة هو إحياؤه لعلوم الحديث والتفسير، وإدخاله لبعض العلوم التى كان الطالب القروي محروماً منها كالتاريخ والجغرافية والهندسة . فأما كون المواد تسند إلى غير أهلها فالحقيقة فى ذلك أن بعض العلوم لم يكن لأهل القرويين فى الوقت الحاضر بها مساس مع ما انضم لذلك من إبعاد نبغاء أهل العلم والأدب عن الكلية وأخذهم للوظائف الحكومية ؛ فواجب أن تجلب الحكومة بعض أساتذة تلك العلوم من معاهد الشرق بينما ترسل بعثات من أبناء القرويين للتخصص فيها وتدريسها عند عودتهم . كما يجب أن يعاد أولئك الأفاضل المقصون عن الكلية إلى حظيرة التعليم ؛ فمن الجور أن يضيع عمرهم فى غير ما خلقوا له ويضاع معه مستقبل الطلبة الذى نحن عليه جد حريصين

وأما مسألة الكتب فإن الزمان كفيل بتعديلها على أحسن الوجوه . ومن الانصاف أن نعترف أن الوقت لم يحن بعد لتسويتها كما ينبغى ، لما نرى عليه بلادنا من التأخر المزرى فى وسائل النشر وصناعة الطبع . وعسى ألا يستمر الأمر على ذلك زماناً طويلاً ولاسيما بعد تنظيم خزانة القرويين والاهتمام بجمع كنوزها وذخائرها وحفظها من التلف ورد اليد العادية عنها فالمستقبل باسم إن وجد من يعمل بجد وإخلاص

هـذا، ولنا نظر فى إصلاح القرويين نبديه هنا — ولو لمجرد المناسبة — فهو أقرب تناولا وأمثل سرعة وأنسب حالا من كل إصلاح غيره . وذلك أننا نرى أن تخصص الكلية بالدراسات الاسلامية المحضة وما يعين عليها ، من علوم القرآن بما فيها القراءات التى قدمنا ما كان لأسلافنا من العناية بها، والحديث والفقه والأصلين ووسائل ذلك من النحو والفقه والبيان والمنطق والحساب والهيئة ونحوها ، على أن تكون دراسة هذه بحسب التبع لتلك، ومن أجل أنه لا يتوصل إلى المطلوب إلا بها، ولذلك كان أشياخنا رحمهم الله يسمونها علوم الآلات ؛ والمقصود الأهم الذى يجعل نصب العين ويخص بالتعمق فى النظر والتوسع فى البحث هو الفقه والحديث وسائر العلوم المذكورة سابقاً التى نؤمل من وراء دراستها على هذا النمط والانقطاع لها بهذه القابلية أن تخرج رجالاً متضلعين منها أشد التضلع ، متقنين لها أحسن الاتقان ، فنعيد عهد مالك والشافعى والبخارى وأحمد بن حنبل والأشعرى والماتريدى وابن حزم وابن العربى وعياض وابن تيمية وابن حجر وأضرابهم

وذلك فى حين توجه الرغبة واشتداد الطلب وتضافر الجهود الى تأسيس جامعة عصرية Université تتكون من ثلاث كليات إحداها للأدب والثانية للطب والثالثة للعلوم . والتى للأدب نعوض بها تلك الدراسة الناقصة العقيمة التى حذفناها من برنامج القرويين، إذ أصبح من المسلم بأن الأدب لا يحيا بتلك الطريقة، ولا ينتظر أن يكون له مستقبل في هـذه البلاد ما دام لم يوجه الاتجاه المطلوب التى تقتضيه الظروف الحاضرة ، وامتداد إبان البحث إلى مالم تكن عليه فى الأزمان الغابرة . والتان للطب والعلوم نسد بهما مفاقرنا فى الحياة العلمية والعملية التى ما فتئنا نسمع التبشير بها والوعد باستقبالها منذ ربع قرن فأكثر كما كنا لا نرى لها أثراً إلا عند الغير

وبقطع النظر عن مسألة القرويين نحن لا نرى بدًا — إذا كنا نريد نهضة حقيقية مبنية على أساس متين من الاصلاح الاجتماعى الشامل — من إنشاء هـذه الجامعة التى كم عنينا بأمرها وتهممنا بشأنها . ولذلك نتوجه بطلبتنا هـذا إلى



أماني حسناء

للقصصي الفرنسي كاتول ماندز

بقلم الأديب صلاح الدين المنجد

« كاتول ماندز شاعر وروائي وقصصي ... أوتى من الفهم والذكاء ما جعله يخوض في كل فن ويطرق كل باب .. قضى حياته في العمل المثمر والسعي المتواصل ، وكان يعشق الحياة والشباب والجمال وله في ذلك قطع من أرق الشعر وأحلاه . أشهر مؤلفاته : الأماسي الكئيبة ، مجموعة أناميس ، عذراء افيلا »

كانت رائعة الحسن غضة الصبا . ظهر الورد في خديها الناعمين فوق الزغب الحريري الجميل . وبدا السحر في أهدابها الوطف الناعسة ، وتفتحت أنوثتها الرقيقة عن جسم بض ريان ، وثديين بارزين فيهما السحر الحلال ، فغدت كزهرة من أزهار التفاح في أوائل نيسان ... كلها فتنة ، وكلها جمال

انطلقت ذات صباح تتهادى بين الحقول بتيه وخيلاء ؛ يعلو جبينها المشرق سحابة من همّ روع قلبها وأضناه . فرأتها جنية صغيرة كانت تتنقل بين الأعشاب ، فحزنت لها وأشفقت على ذلك الشباب ... فخرجت إليها تجرر ثوبها الأزرق الحريري، وسألتها بصوت هادئ رنان :

— ما الذي يشجيك يا حسناء ... ؟ لقد أوتيت من الحسن ما تتمناه كل فتاة ! إن لك لشعراً لونه كلون سنابل القمح في حزيران ... وإن لك لعينين لونهما في زرقة السماء إذا تنبه الفجر الوسنان ... وإن لك لفماً رقيقاً وطلعة ساحرة مشرقة ، ومشية خفيفة فاتنة ، فما الذي ينغص عيشك ويحزنك يا أختاه ... ؟

— ... ... ؟

— لمَ لا تقولين ما بك يا فتاة ... ؟ أتشتهين ارتداء ثوب حريري جميل ... ؟ أتودّين لبس حذاء رصع بجوهرة نادرة وزين بشرط ناعمة ؟

— أوّاه ! أوّاه !

— لكن حدثيني ... مالك ... ؟ أتشكين من الخبز الذي تأكلينه ؟ أترغبين في العسل الشهي والرُطب الجني ؟ .. لشد ما تحزنينني يا صبية ! تكلمي وأسمعيني .. أتطمعين في أن تكوني ابنة أمير غني ظالم ترفلين في قصره بالدمقس والحرير بين ستور الخز ونضائد الديباج ، وتحيط بك الوصائف والجواري ، تغمضين أجفانك إذا أقبل الليل بين أناشيدهن العذاب ، وتفتحين أجفانك إذا أقبل النهار بين رقصاتهن السواحر ... ويأتي إليك الأمراء ينشدون ودك ويطلبون رضاك .. لتنظري إليهم بطرفك الفتاك، أو لتبتسمي لهم بثغرك الفتان ...! تكلمي .. تكلمي ..

قالت الفتاة وقد وضعت كفيها الصغيرتين فوق وجهها لتخفي ابتسامة علت ثغرها كلها سحر ودلال ..

— كلا .. كلا .. ما أريد هذا ولا ذاك!. ولكني أغار.. نعم أغار من الأزهار. إنهن لجميلات.. وإني لأغبطهن تارة، ويداخل قلبي الحسد لهن أخرى ... آه لو كنت زهرة بنفسج في أحد المروج الخضر ... !

سدة ملكنا المحبوب سيدي محمد القي نحمد الله على شفائه من مرضه وحفظه لأمته التي لها فيه آمال كبار ومتمنيات جسام لا طمع لها في غيره بتخفيفها وإقرار عينها بها ، ومن جملتها الجامعة التي تشرف الملكة السيدة وتغني كثيراً من أبناء المغرب عن تكبد مشاق السفر والغربة في طلب العلم في البلاد الأجنبية ، وما ذلك على همته العلوية بعزيز

« طنجه » عبد الله كنون الحسني

— هه .. هه .. إذن كونى زهرة بنفسج ياحسناء ...!

فانقلبت حسناؤنا فجأة إلى زهرة بنفسج نبتت بين الأعشاب الندية فى أحد الحقول .. وراحت تنازل الشمس فى النهار ، وراح القمر ينازلها فى الليل .. لقد كانت فاتنة تبهر العين وتغريها . ولقد كان لها أريج عطِر يسكر النفس ويحييها ... ياجمالها ! إنها ترقد بهناء وسرور .. تضحك وتلهو .. وترسل شذاها يملأ السهل والوادى .. حتى إن أزاهير الغاب حسدتها ، ورحن يتهامسن ويقلن : « ياللسحر هذه الزهرة ! إن الفراشات ليتشاجرن من أجلها ، ويترامين فوقها .. ياسحرها .. ياسحرها !

ولكن .. مالها .. ؟ إن الكآبة قد عاودتها ، وكاد الذبول يقضى عليها ؛ وإنها لتذرف الدمع صباح مساء ..!

وجاءت إليها جنيتنا تمشى فُضلاً بثوبها الأزرق الحريرى ... وقالت لها :

— إيه يازهرة البنفسج ! ما الذى يشجيك أيضاً ... ؟ أما تمنيت أن تكونى زهرة بنفسج فكنتها ... ؟ إنك الآن سيدة الأزهار ... إن صواحبك زهرات الغاب ليحسدنك على جمالك ونضرتك . فتكلمى يا زهرة البنفسج ...

— .... !

— لك الله يازهرة البنفسج ! كم أنت حزينة ... أرغبت عن الحياة بين الأعشاب ؟ أتريدين العيش وسط الخمائل والرياض ؟ تكلمى ... أيتها الزهرة الصامتة !

— ..... ؟

— أأصابك الملل ياحسناء من أولئك الفراشات اللائى يطفن حولك ليل نهار ويتشاجرن من أجلك ويسعين لتقبيلك ؟

فتنهدت الزهرة ولم تقل شيئا

قالت الجنية :

— لشد ما يغيظنى صمتك يا زهرة البنفسج ! ألم ترقك الحياة هنا ؟ أتريدين أن تعيشى فى قصور الأميرات لتوضعى فى أوانى الصين الفاخرة فيعجب من حسنك كل من يراه ! ولتحلى صدور أولئك النواعم الحسان ... ! آه منك يازهرة البنفسج ... لم لا تكلمينى !

قالت الزهرة :

— كلا ياأختاه ... ولكن حسبت أن زهرة البنفسج هى أجمل الأزهار ، وما علمت أنها صورة الحزن ورمز الألم ..! وأنا أنفر كما تعلمين من الحزن وأخاف الألم ...: آه لو كنت زنبقة فى إحدى الرياض ... إن الزنبق لأجمل الأزهار . أليس كذلك ؟

— أوه ! أهذا كل ما تتمنينه ؟ إذن كونى زنبقة كما تريدين !

فانقلبت زهرة البنفسج إلى زنبقة ما رأت العين أجمل منها أبداً . ولكن ... لقد عاودتها الكآبة بعد أيام . إنها تريد أن تكون ياسمينة بيضاء .. كلا .. كلا ، إن الفل أجمل من الياسمين .. وإن شذاه لمسكر ! ولكن ... الورد ... الورد .. أليس الورد ملك الأزهار ؟ إنها تريد أن تكون وردة ... وردة حمراء ...!

وانقلبت الفتاة من زنبقة إلى ياسمينة ، ومن ياسمينة إلى وردة ؛ عندئذ قالت :

— الآن طاب لى المقام وطاب لى العيش . لقد أصبحت سيدة الأزهار وهدية الأحباب إلى الأحباب ... ! وما علىَّ إلا أن ألهو براحة وهناء ... !

فلما كان الليل رأت فتى وإلى جانبه فتاة يتقدمان على مهل حتى استقر بهما المكان إلى جانبها . فهمست فى أذن جارتها :

— أوَّاه ! إنها لجميلة ... انظرى إلى الجمال كيف يرق فى وجهها ، وإلى السحر كيف يشيع فى صوتها ... لقد كنت أجمل منها إذ كنت فتاة ! يا حسرتاه ! ...

وراحت الوردة تنظر وتصغى ... تنظر إلى الحبيب يعانق حبيبته ، فيلثم ثغرها ويجس نهدها ... أو يناجيها بأرق الغزل وأحلاه . فى هدأة هذا الليل المقمر الشاحب ، فتجيبه بكلمات تخالها قطع الرياض كسين زهراً !

وذرفت الوردة دمعة ... وقالت

— آه لو بقيت فتاة إذن لكنت ... ولكان لى فتى ... ! ولكن ... إن جنيتى قد تولت عنى فمن لى بها ؟ لقد قالت لى إنها سترجع ، ولكن أين هى ؟ وتنبهت الوردة عند السحر ، فذكرت ما رأته فى الليل ... وما سمعته ، وذكرت جمالها وسحرها ، وكيف ذهب الجمال وغاض السحر . فذرفت دمعاً بلل خديها وراح يروى الثرى ؛ وقضت نهارها فى وجوم يبعث فى النفس الأسى . فلما كان أصيل الغد ، وكادت الشمس أن تطفل ، رأت امرأة بارعة القد ، صبيحة الوجه ، تمشى الهوينا إلى جانب رجل فى ريعان الشباب ، ومعهما طفل يعدو وراء الفراشات فجلسا إلى جانبها . قالت المرأة :

إلى نورك السجين...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« من أحلام كوخى البعيد ، أهتز لك بهذه الأنشودة ... لعل فيها سلواناً لعذابك ! »

إنْ رَأيتِ النُّورَ مَذْعُو رَ الْخُطَى نحوَ المَغيبِ
وَرَأيتِ الطَّيْرَ يَنْعيه لِأَوْرَادِ الكَثِيبِ
وَرَأيتِ العِطْرَ نَعْسَا نَ عَلَى الأَيْكِ الرَّطِيبِ
وَرَأيتِ النَّهْرَ سِرًّا لَفَّهُ صَمْتُ الغُيُوبِ
وَرَأيتِ الشَّمْسَ لا شَمْسَ سِوَى طَيْفِ الغُرُوبِ
وَرَأيتِ اللَّيْلَ « قِدِّيساً » تَهَادَى لِلصَّلِيبِ
غامضَ الأسْرارِ يَحْكى سِتْرُهُ نَعْشَ الذُّنُوبِ
فانظُرِى مِنْ شُرْفةِ القَصْرِ ونادِى : يا حَبِيبى !
تُشْرِقُ الدُّنيا وَيَنْدَى جَوُّهَا مِنْ كلِّ طِيبِ
وَتَهِلُّ الفَرْحَةُ الكُبْرَى عَلَى قَلْبِى الكَئِيبِ
وَيَعُودُ الأَمَلُ الهَارِبُ لى عَوْدَ الغَرِيبِ !

* * *

وَإذَا ما الفَجْرُ أَضْفَى نُورَهُ فَوْقَ التِّلالِ
وَزَكَتْ « مِئْذَنَةُ » النَّاسِكِ مِنْ عِطْرِ « الهِلالِ »
وَإلى اللهِ دَعا الدَّاعِى بِطُهْرٍ وَابْتِهَالِ
وَأفاقَ الدِّيكُ يَنْعِى خَلْفَ « تابُوتِ » اللَّيَالى
وَانْتَشَى الوَادِى مِنَ النُّورِ وَصَهْبَاءِ الظِّلالِ
وَمَضَى الرَّاعِى إلى دُنْيَاهُ فى سَفْحِ الجِبَالِ
وَاحْتَسَى العُصْفُورُ فى الرَّوْضِ عَبِيرَ البُرْتُقالِ
وتَناغَى هَزَجُ « النَّحْلِ » بِأَفْيَاءِ الدَّوَالى
وَغَدَا النِّيلُ من البَهْجَةِ قُدْسِىَّ الجَمَالِ ...
فانظُرِى مِنْ شُرْفةِ القَصْرِ عَلَى الوَادِى حِيَالِى
تَشْكُرُ الدُّنيا لِمَرْآكِ تَسَابيحُ الجَلالِ
وَتَرَيْنَ السِّحْرَ سِحْرَ الكَوْنِ يَفْنَى فى خَيَالى
أنْتَ سِحْرِى وَفُتُونِى وَصَلاتِى وَابْتِهالى

* * *

لا تَظُنِّى نُورَكِ العُلْوِىَّ تُفْنِيهِ القُيُودُ
هُوَ كَوْنٌ عَبْقَرِىٌّ لا تُوَاتِيهِ الحُدُودُ
وَهْوَ دُنْيَا مِنْ صَفَاءٍ لا يُسَامِيهَا الوُجُودُ
رَفْرَفٌ لِلْخُلْدِ لا يَرْ قَى لِشَطَّيْهِ الخُلُودُ
تَهْرَمُ الدُّنيا وَتَبْلَى وَهْوَ شَعْشَاعٌ جَدِيدُ
مَالَهُ مِنْ مُهْجَتِى (م) إلاَّ التَّغَنِّى وَالسُّجُودُ
فاسْكُبِيهِ فَوْقَ عُمْرٍ كادَ يُبْلِيهِ الصُّدُودُ
أنا ظَمْآنُ ... وَلكِنْ خانَ أَيَّامِى الوُرُودُ !
وَعَلَى كَفَّيْكِ أَقْدَا حِى وَخَمْرِى وَالنَّشِيدُ ..
فَدَعِى الأَغْلالَ ما شَا ءَتْ غَدًا يَبْلَى الحَدِيدُ
قَدْ رَعَى اللهُ هَوَانَا وَأَظَلَّتْهُ العُهُودُ
ما الَّذِى يَبْقَى سِوَى أنْ يُشْرِقَ الفَجْرُ السَّعِيدُ !

— انظر إلى طفلنا يا عزيزي .. كيف يهيم وراء الفراشات هه ... هه ... أتذكر يوم لقيتنى لأول مرة على ضفاف البحيرة فى حديقة كهذه ، فجئت إلىّ فصددتُ عنك ... ثم ... يا لله لشد ما تزدحم الصور فى مخيلتى ! ثم جئت إلىّ وكلمتنى كلمات .. وكلمتُك كلمات ... وكان يوم الزفاف بعد أسبوع! ...

أتذكر يوم قلت لى إنك تريد طفلاً يدخل على نفسينا السرور وعلى عيشنا الهناء ؟ ما أضحك ... ها هو ذا طفلنا يلهو ويلعب ، وها هى ذى الحياة تبسم لنا وتضحك ! تعال ياطفلى أقبلك. تعال فأنت الذى أذقتنى طعم الهناء ....

وقام الزوج يطبع على ثغر زوجته قبلة أودعها كل معانى الحب والاخلاص . قالت الوردة :

— الآن فهمت معنى الأمومة ومعنى الزواج

* * *

كانت الشمس ترسل أول شعاع لهـا فتنبه شجيرات الورد الناعس عندما جاءت إليها الجنية تقبلها قبلة الصباح وتسألها عما بها فتجيبها بصوت هادئ حزين :

— آه ! لن أغنى بعد اليوم شيئاً ! أريد أن أرجع فتاة لأكون أماً !

صلاح الدين المنجد

تحيـــة دامية ! (*)

للأستاذ أمجد الطرابلسي

غَرِّدِي يا دمشقُ لحنَ العيدِ   وَذَرِى النَّدْبَ وَاصْدَحى بالنَّشيدِ

واسْدِلى بُرْقُعَ الإباءِ على الدّمـ   ـعِ، وأخفِى الجراحَ تحت البرودِ

واهتِفى فرحـةً بأشبالِ مصرٍ   وميامينِها الأباةِ الصِّيـــد

ليت أيامَكِ الطّوالَ جميعاً   مثلُ هٰذا اليومِ الضَّحوكِ السَّعيدا

* * *

إيهِ أحبابَنا، وقد تُنْـكِرُ الكُلْـ   ـفَةُ فى رفرفِ الهوى الممدود

هـــذه الدارُ داركم، وبنوها   أهلُكم بين شارخ ووليد

قبَّلَتكم فيهـــا ثغورُ الأقاحى   والنسيماتُ في الربى والنجود

فانزلوها ملءَ القلوبِ الوجيبا   تِ، ولا تنكروا فتادَ المهود !

* * *

أيهـــا العرب يا نخار الحضارا   ت، وأنشودة العُلى والخلودِ

يا مشعَّ الأنوار وسط الدياجى   يا سيوفاً أبت إسارَ الغمود

ليس ينجى النعاجَ من شفرة الجزّا   رِ إيمانُها بعـــدل الوجود

فاحطموا في الإسارِ إيمانكم بالغر   بِ والعدلِ قبلَ حَطْمِ القيود

وانزعوا من صدوركم طيبةَ القلـ   ـبِ، وشُبّوا فيها لهيبَ الحقود

فالسياسات لا تدينُ بحقٍّ   لضعيف ولا تَفِى بعهود

لو أراد القوىُّ إنقاذَ شعبٍ   لم يمدَّنه باللظى والحـــديد

تَعِس الخلقُ إن غدَا فى البرايا   من قيودِ المستعبدِ المصفودِ

تَعَسَتْ هـــذه المروءاتُ إمّا   أصبحت فى الأنامِ دِينَ العبيد

تعس البرُّ بالعهود إذا صا   رَ دليلاً على الونى والجمود

إنمـــا الخلقُ ما يقولُ قويٌّ   يتحلّى بعدّةٍ وعـــديد

كذبُ الأقوياءِ صدق وعدلٌ   واعتداء القوىِّ فوقَ الحدود

ورشادُ الضَّعيفِ شرُّ الضَّلالا   تِ، وشكواه من عجيب الكنودِ

وبلاد الضَّعيفِ جسم بغىٍّ   مستباحُ الهوى لكلِّ مُريد

يَتَنادى عليه بين الضَّوارى :   أيُّها الطامعون هل من مَزيد ؟

* * *

أيها العربُ، آنَ أنْ يعصفَ الهو   لُ، فيهوى بكلِّ جَوْرٍ مَشيد

آنَ أنْ يجمح الأبىُّ على الأسْـ   ـرِ ويطغى على منيعِ السدود

آنَ أن تُحْشَدَ الحشودُ إلى المجدِ   ويختـــالَ تحت خُمْرِ البنود

آنَ أن تنبذوا النعيم إباءً   أنَكَدُ العيشِ فى الهوان الرَّغيدا !

لا يسيغُ الهناءَ ندبٌ، أخوه   من سياطِ الطغاة دامي الجلودِ

وعيونُ الكرامِ يَسِلْنَ عليها   فى جراحِ الكرامِ طَعْمُ الهجودِ

هـــذه الشام فى اللظي خرامٌ   أن تناموا على رنين العودِ

تتلوى على جراحاتِ جَنْبَيْـ   ـها، وما للجراح من تضميد

تَصْرُخُ الصَّرْخةَ التى ترعش الأفْـ   ـقَ وتبلو النُّجُومَ بالتسهيدِ

وتمـــدُّ اليدين ترجو نصيراً   وهى بين التّتريكِ والتّهويد !

بسمت فى وجوهكم وهى تخفى   من جراح الأيام أىَّ وقودِ

وكذاك الأباةُ يخفونَ أوجا   عَ الليالى تحت الإباءِ العنيد

* * *

إيه أحبابَنا ! شكوتُ إليكم   وَعَـــذِرِى ما بيننا من عُهودِ

من لنا أو لكم إذا الغاصب العا   تى تمادى فى العَسْفِ والتنكيد !!

هل يُرَجِّي الشقيق إلاّ أخاه   فى دُجَي الخطب والبلايا السُّودِ

فإذا عُدْتُمْ غداً فى أمانٍ   ونعمتم بنيلكم والصّعيـــد

فاذكروا فى رفارف الشام أهلاً   وجدوا فى لقائِكُمْ خَيْرَ عيدِ !

(*) ألقيت فى الحفلة الكبرى التى أقامها رجال التعليم الثانوي والابتدائى فى دمشق تحت رعاية وزير المعارف، إحتفاء باخوانهم وزملائهم المصريين أساتذة معهد التربية وطلابه الأكارم

سحر لبنـــان

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

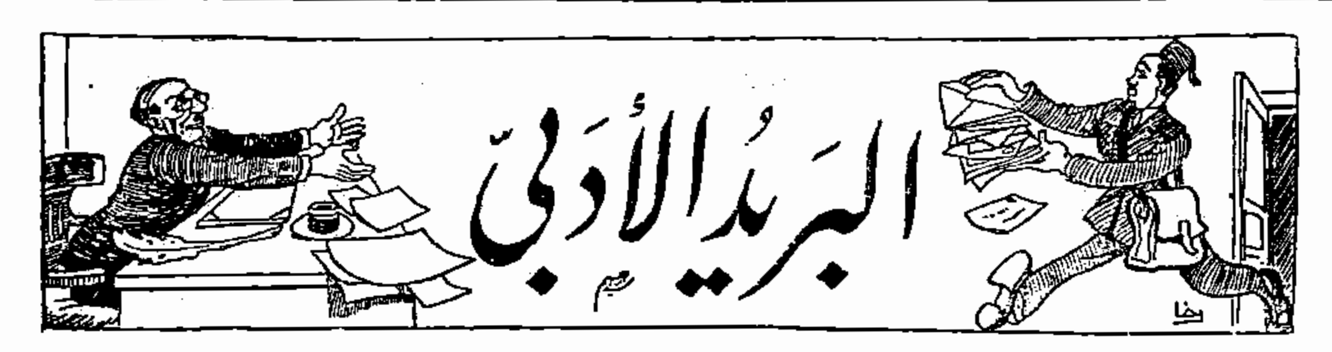
ربوع لبنان أم جنات رضوان؟   وصورة الخلد أم تصوير فنان؟

بوركتَ يا فتنة الأجبال من جبل   سامى الذرى مشمخرّ الأنف ريان

زاهى الربى ناضر الوديان متشح   فى كل ناحية بالحسن فتان

يا ملتقى الخلق من بدو وحاضرة   ومجمع الشرق من قاص ومن دان

ملأت عينىّ سحراً والفؤاد مُنًى   ودب سحرك من روحى لجثمانى



من غرور الأدب الرسمي

على أثر ما كتبناه عن لجنة إنهاض اللغة العربية وغمطها لحق فريق من الأدباء لشهوة أو جفوة، تحدث إلينا في التليفون الأستاذ محمد جاد المولى بك أحد أعضائها ومفتش اللغة العربية الأول، حديثاً كان في معناه وروحه خيراً من كتاب صديقنا الأستاذ أحمد أمين. فقد اعترف الأستاذ جاد المولى بالحق، وصرح بالاعتذار، وود أن ما حدث لم يحدث. ولكنه قال في آخر حديثه:

سنعوضك تعويضاً أدبياً إن شاء الله!

— وما هذا التعويض الأدبي يا أستاذ؟

— إن الوزارة بصدد أن تؤلف كتاباً في المختارات وستختار لك فيه بعض القطع

سبحان الله يا أستاذ! وهل تعتقد بإخلاص أن هناك فرقاً جدياً بين ما ينشره الكاتب في كتبه للناس، وبين ما تنشره له وزارة المعارف في كتبها للطلبة؟ لعل الأستاذ يرى أن وزارة المعارف حين تختار لكاتب من الكتاب تشهد له رسمياً بأنه يحسن الكتابة! إن كان ذلك ما يراه الأستاذ فأظنني شبعت عن هذه الشهادة. وإني أشكر للأستاذ جميل اعتذاره، وخلوص نيته، وحسن قصده؛ وأسأله أن يدع للقراء أن يقرأوا، وللأدباء أن يحكموا، وللزمن أن يغربل!

الزيات

وشاع عطرك في نفسي فأسكرني ... وذاع ضوءك في قلبي فرواني

لم تبق جارحة إلا نفثت بها ... سحراً حلالاً فجددت الصبا الفاني

حتى غدوت فتياً ضاحكاً مرحاً ... من بعد ما هدت الأيام بنياني

لو كان أهلي في لبنان ما نزعت ... نفسي إلى وطن لي غير لبنان

عبد الحميد السنوسي

حول ديوان الجارم

كتبت زميلتنا (المكشوف) الغراء كلمة بليغة في (أمانية الأدب الرسمي)، وأشارت إشارة لبقة إلى ديوان الجارم وسرعة إخراجه وطريقة شرحه. ولولا أن يداً أخذت المكشوف ولم ترده لنقلنا هذه الكلمة في العدد الماضي. واليوم أرسل إلينا أديب معروف هذا السؤال ننشره من غير جواب ولا تعليق، قال:

«كتب الدكتور زكي مبارك كلمة حق عن ديوان الجارم في مجلة الرابطة الأدبية فنام عليه الأفق في وزارة المعارف، وأخذه الرعد من كل مكان. وكتب أستاذ آخر مقالين في تقريظ هذا الديوان نشرهما في البلاغ، أمضى المقال الأول وهو في التدريس، وأمضى المقال الثاني وهو في التفتيش. فهل كان ذلك لمجرد المصادفة السعيدة؟»

(ز. ع)

بين الأستاذين الغمراوي وقارئ

كتب إلينا صديقنا الأستاذ الغمراوي ما يأتي:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد قرأت مقال الأستاذ (قارئ) وأنا مريض ببور سعيد، وقرأت عوده إلى الموضوع وأنا مريض بالقاهرة؛ وهذا هو عذري إليك وإلى الأستاذ (قارئ) وإلى قراء الرسالة في تأخيري الاجابة عن نقده. وكل الذي أستطيع أن أقوله الآن هو أن الذي انتقده الأستاذ (قارئ) شيء لم أرده بما كتبت، مع علمي بأكثر الوقائع التي ذكرها الأستاذ في نقده. أما تفصيل ذلك فموعده حين يأذن لي الطبيب في الكتابة

والسلام عليكم ورحمة الله

محمد أحمد الغمراوي

جانب من الوطنية العراقية

ورد لي من العراق منذ أن رجعت منه إلى مصر لقضاء عطلة الصيف ما يزيد على عشرين رسالة من الطلاب . ومما لفت نظرى فى أكثرها وحملنى على زيادة التقدير والاعجاب بالوطنية العراقية أن كل هذه الرسائل ماعدا واحدة، تفيض بأحاديث الغيرة على سمعة العراق ، وبالهفة على تعرف أثر مقتل المرحوم الدكتور سيف ، وبرجائهم أن نعمل على محو هذا الأثر — إن وجد — بافهام إخوانهم المصريين أنه حادث فردى حدث لظروف خاصة

وقد تعمدت — كما بينت فى ردودى على هذه الرسائل — أن أمر على هذا الحادث مرورى على أي حادث من نوعه يقع فى مصر أو فى العراق ، ولا أشترك فى رد الغلو الذي ورد فى كتابة بعض الذين تهيجوا للحادث ، فعلقوا بعض تعليقات شذت عن تقدير الظروف تقديراً صحيحاً ، ورأيت أن ذلك أولى بنا كأمة واحدة، أوكأمم ربط الله مصائرها وآمالها وآلامها برباط واحد، وإن ذلك أحرى بها ما دامت ترمى إلى أهداف مشتركة نرجو من المستقبل القريب أن يحقق لها الوصول إليها . فلا بد أن تلتقى هذا الحادث وأمثاله — ولا أكثر الله من أمثاله — بشيء كبير من سعة الصدر ، وعدم التعليق الكثير عليه، والتحليط فى سيرته ، والتشقيق لحديثه ؛ شأنها فى الحوادث المحلية العادية التى تحدث فى مصر أو فى العراق كما قدمنا . وذلك كله لإفهام الجماهير فى الأمتين الشقيقتين والأمم العربية جمعاء ، أن أمثال هذا الحادث يجب أن تتوطن النفوس على وقعه ولا تحسب له حساباً فى العلاقات الدائمة بين هذه الأقطار

ولكن هذه الظاهرة الجيدة التى لمستها فى الوطنية العراقية مما ورد لى من رسائل شباب العراق الذين لم يبلغ أكثرهم بعد درجة المسئولية الوطنية فيما يتعلق بحسن سمعة الوطن والغيرة عليها بلهفة، وتصحيح خطأ وقع من فرد منها... هذه الظاهرة وحدها هي التى حملتنى على تسجيل هذا الحديث ، وما لغيرها كنت أرضى أن أخوض فى حديث هذا الحادث

ومقياس الوطنية عندى هذه الغيرة الحادة اليقظة التى قد تتحول فى بعض النفوس الكريمة إلى شبه أنانية فردية . فكأن ما يقع على عموم الوطن يقع على خصوصية الفرد ... وكأن كل فرد يحمل وطنه على قلبه ، فما يثقل على الوطن من مصيبة أو سوء سمعة أو شبهة يثقل على قلوب الأفراد

وفى الحق أن هذا الجانب من الوطنية العراقية يشاهد نامياً بارزاً جداً ، مما يجعل الوطن فى ضمانه وحمايته وفى أمل كبير منه

فإلى أصدقائى الذين راسلونى من العراق وأداروا هذا الحديث فى رسائلهم أرسل هذه الكلمة على صفحات « الرسالة » لأن موضوعها ليس لى ولهم ولا لمصر والعراق فقط، بل هو فوق ذلك إنه للمروءة فى جميع بقاعها ممن يقرؤون « الرسالة »

ولتطمئن قلوب الشباب العراقى ، وهنيئاً للعراق هذه الغيرة فى قلوب بنيه .

« القاهرة » عبد المنعم خلاف

بين الرافعي والقشاشي

مضى الأستاذ محمد سعيد العريان مترجم فقيد الأدب العربى المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى سبيله يكتب ذلك التاريخ الزاهر، وينشره بشكل مقالات فى « مجلة الرسالة » حتى بلغ الآن المقالة (٣٢) وفيها دعا من كان عنده شيء من أخبار الرافعى غير ما ذكره هو ، أن يتفضل بالكتابة إليه رأساً أو على صفحات « الرسالة » يحيطه علماً بذلك ، وفاء بحق الأدب وأهله ، ورجاء إتمام ذلك التاريخ الذى كاد يغمره النسيان ويجنى عليه الاهمال .

ونحن إجابة لدعوة الأستاذ ننبه إلى خصومة أخرى كانت قد نشبت بين الفقيد الكريم والأستاذ مصطفى القشاشى صاحب مجلة « الصباح » ، ولعلها آخر الخصومات الأدبية للرافعى ؛ وقد كانت هى التى أوحت إليه بمقال « صعاليك الصحافة » المنشور « بالرسالة » (أعداد : ١٨٩ و١٩٠ و١٩١ و١٩٢) وقد عرض فيه بالصباح تعريضاً مكشوفاً ، إذ أتى فى العدد ١٩١ على جملة من عناوين مقالاتها التى كانت صدرت فيها أثناء تلك المدة ، كنماذج للموضوعات التى تطرقها تلك المجلة .

وكان السبب فى هذه الحملة من الرافعى على صاحب «الصباح» أنه حمل إليه كتابه (وحى القلم) ورجا منه أن يكتب تقريظاً له ، وهذا مايؤخذ من كلام الأستاذ القشاشى؛ وعنا أن القشاشى تأخر مدة عن كتابة التقريظ ، وعذره أن الكتاب ضخم يتألف من جزأين فى تسعمائة صفحة ويتناول مائة موضوع وموضوع ، فإن

الرافعي ظن السوء بصاحبه وقام بجلد صعاليك الصحافة ، وبالله من غضب الرافعي فإنه يزري بغضب عنترة !

وشاءت سخرية القدر أن يبرز مقال « الصباح » في تقريظ (وحي القلم) بعد أن ينشر الرافعي ثلاثة أقسام مقاله (صعاليك الصحافة) والقسم الثالث منه الذي به انكشف مراده فظهر أنه يعني صاحب الصباح ، صدر في عدد (١٩١) أول مارس ١٩٣٧ على حين أن تقريظ الصباح كان في عددها ٥٤٥ (الصادر) في خامس مارس المذكور ، وقد كان تقريظاً بليغاً يرضى الرافعي ويدخل على نفسه السرور ؛ وحسبك منه هذه الجملة التي يقول فيها الأستاذ القشاشي : « إن كتاب وحي القلم ليحتاج إلى كتاب آخر في الاشادة بذكره ، فلعل ضيق المجال يعتذر لنا عند الأدب العربي ثم عند الأستاذ الرافعي »

ولكن الأستاذ الرافعي قد عجل — وفي العجلة الندامة — فسرعان ما انقلب مدح « الصباح » له قدحاً فيه ، وتناوَّها عليه طمناً . وكنا نحن قد انتظرنا ذلك لما قرأنا القسم الثالث من مقال صعاليك الصحافة، فكيف وتدتر أنا أيضاً ثناء الصباح وتقريظها؟ وأخذتنا الشفقة على الأستاذ الكبير الذي طالما أشفقنا من الخصومات التي كانت تثور بينه وبين أهل الأدب ولا سيما الامام العقاد . وهكذا صدق ظننا فبرز مقال الأستاذ القشاشي (صعاليك الأدب واستجداء المدح والثناء) في العدد التالي من «الصباح» . ولا تسأل عما يحوي من قوارص الكلم وفاضح التعريض

قلنا إننا نشفق من هذه الخصومات التي تقع بين كبار الأدباء لأنها في الغالب لا يكون باعثها النقد النزيه ، فيسمح عندنا أن ينزل مثل العقاد والرافعي من عليائهما إلى ميدان المهاترة إرضاء لحالة الموجدة وطبيعة الغضب كما وقع في قضية الرافعي والقشاشي، فبينما الصفاء والسلام إذ الحقد والحرب . ونحن لسنا من مقلدة الرافعي ولا من المتعصبين للعقاد، ولكن لهما معاً عندنا مقام سام، وفي أنفسنا لكل منهما حيز لا يشغله الآخر . عرفناهما معاً من قديم واغتبطنا بآثارهما كل الاغتباط ؛ وكنا نأسف على ضياعهما بين قومهم وعدم عرفان حقهما حتى جاءت « الرسالة » فعرفت بالرافعي الذي كان أكثرهما ضياعاً وأنكرهما عند جمهور القراء في العالم العربي . وسيكون لهما من الذكر في مستقبل الأيام ما يغطي على غيرهما أياً كان، بل أنهما سيكونان علمي عصر النهضة في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ورمز المذهبين المدرسي والابتداعي المتكونين في هذا الأدب كما يجب الآن .

ولسنا ندلي برأي إلى الأستاذ العريان، وحسبه من كلمتنا هذه ما يتعلق منها بخصومة الرافعي والقشاشي ، لكن القراء أيضاً لهم حظهم فيما يقرأون، فلذلك تطرقنا ولو بهذه الالمامة الخفيفة إلى وجه الرأي في أدب الرافعي والعقاد، حاسبين أن ما كان بينهما من خصومة إنما هو نتيجة الغيظ وحدة البادرة وان ما كتبه كل منهما في هذه الخصومة إنما كان من قبيل ما كتبه الرافعي والقشاشي باعثه الظن السيء والعجلة . وللقوم في عمرو بن الاهتم وما كان بينه وبين الزبرقان بن بدر من المنافسة والمشاتمة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم شافع وعذر ...

« طنجة » عبد الله كنون

مستعمرة مصرية في انجلترا

نشرت جريدة نيوز كرونيكل في مكان بارز خلاصة درس لكتاب عنوانه إزيس تفتيس في ولتشير وخارجها ، تأليف الدكتور رندل هاريس العالم الأثري الشهير وقد طبعته شركة الطباعة في بريستول

فالدكتور هاريس يعالج نظرية مؤداها أن الآثار السابقة للتاريخ قرب سالسبوري التي زارها الملك فاروق أثناء وجوده في انجلترا إنما هي من آثار قدماء المصريين ، وقد ثبت له الآن أن مركز المستعمرة المصرية وجد فعلا في (لتشير) قرب براد فورد أون أفون

ويعتقد الدكتور هاريس أن المصريين صعدوا في نهر أفون من بريستول واحتلوا تلك الأماكن . وهو يقدم سلسلة أدلة لتأييد اعتقاده ، مثال ذلك الاحتلال المصري لمنطقة تشالفيلد . فيقول هاريس إن (تشال) محرفة عن الكلمة المصرية « تشار » وهي إحدى الأسماء العديدة المزدوجة للالاهتين إزيس ونفتيس

المؤتمر الدولي الثامن للعلوم التاريخية

عقد المؤتمر الدولي الثامن للعلوم التاريخية جلسته الأولى في زوريخ يوم الاثنين الماضي ، وقد بلغ عدد أعضاء الوفود الممثلة

للحكومات والجامعات والمجامع العلمية فى المؤتمر ألفاً ومائتين ، وكان أكثر الوفود عدداً الوفد الألماني ويليه الوفد الفرنسي فالانجليزي فالبلجيكي فالايطالى فالبولندى

وأما الوفود الشرقيـة فأكبرها عدداً الوفد المصرى الذى يرأسه الأستاذ محمد قاسم بك ناظر دار العلوم، والوفد التركى وعلى رأسه الأستاذ فؤاد كوبريلى الاختصاصى فى العلوم التاريخية . ولكل من إيران وأفغانستان وسوريا ممثل واحد ولم يمثل العراق ولا لبنان أحد

وسيلقى ممثل مصر فى إحـدى جلسات المؤتمر محاضرة موضوعها « توسع أساليب المباحث التاريخية فى مصر »

ويتكلم الأمير شكيب أرسلان ممثـل سورية عن سيرة صلاح الدين الأيوبى الشخصية . وسيتوفر الشرق الأدنى قسط كبير من مباحث العلماء المجتمعين فى المؤتمر : فالأستاذ كوبريلى التركى سيجعل موضوع محـاضرته سياسة الاقطاع عند السلمين والترك فى القرون الوسطى ، ويبحث الأستاذ لامونتى الاميركى فى أسباب عظمة الاقطاع الافرنجى فى سورية إبان الحروب الصليبية وانهيارها؛ ويتكلم زميله « ليبار » عن أهمية السلطان محمد الفاتح فى التاريخ ؛ وسيتقدم الأستاذ (هاليكى) البولندى ببحث طويل عن تاريخ العلاقات بين الغرب والشرق ؛ ويتناول العالم الايطالى (موندايينى) تاريخ السياسة الاستعمارية والمستعمرات من سنة ١٨١٥ أى منذ سقوط الامبراطورية الفرنسية الأولى إلى نشوب الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ؛ ويحاضر الأستاذ « جوبله » الفرنسى فى تاريخ البحر المتوسط فى القرن التاسع عشر ؛ ويخطب أستاذ إيطالى آخر فى مساهمة إيطاليا فى كشف أفريقيا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ويتحدث المؤرخ «رابن» الألمانى عن بسمارك وسياسته الافريقية ؛ ويجعل مندوب الجمهورية الاسبانية محور بحثه (أصل تشكيل القنصليات البحرية فى سواحل البحر المتوسط)

بين القديم والجديد

سيدى الأستاذ الكبير صاحب الرسالة

تحية : وبعد فقد حسب الأستاذ محمد احمد الغمراوى فى آخر مقاله حول أدب الرافعى (بين القديم والجديد) ، أنه انتهى من « تزييف » كلام الأستاذ سيد قطب إلى المبلغ الذى كان يريد وأكثر ؛ وأنه وضع العقاد موضعه والرافعى موضعه ، وإن كان هذان الموضعان ليسا إلا أن الرافعى أنصع لفظاً من العقاد ، وأنه رجل يهتدي بنور الدين ، والعقاد لا يهتدى بأى نور !

كذلك حسب الأستاذ الغمراوى أنه فصل بين الحق والباطل فى هذا الأمر واستراح إلى نتيجته تلك . ولم أكن أود أن أنغص عليه هذه الراحة لولا أنه شاء أن يعرض لكلمة سابقة لى فى هذا المضمار ، ورأى أن يرميني بالفزع من ذكر الدين فزع (الملسوع) بالنار فقال:

« لكن أصحابنا المجددين أنصار ما يسمونه الأدب الحديث يفرقون من ذكر الدين كأنما تلسعهم من اسمه النار ، كذلك فزع أحدهم بالعراق ، وكذلك يفزع هذا الآخر ... »

وأنا المقصود ولا ريب بالفازع الأول . والقارئ يذكر أن فزعى المزعوم هذا لم يكن من الدين ، فما فيه ما يفزع أو يلسع ، وإنما كنت اعترضت على إقحام الدين — بدون داع ولا مبرر ولا فائدة — فى نقد أدبى قاله الأستاذ سيد قطب حول بيت من أبيات الرافعى ، وجاء الأستاذ الطنطاوى يحوره ويتجه به نحو الدين كما يفعل الأستاذ الغمراوى الآن ، وكما فعل المرحوم الرافعى فى كل نقد أدبى له ، وكما يفعل كل من يؤوده أن يكسر من شوكة هذا الذى يسمونه تجديداً أو كفراً من سادتنا الرافعيين ! فما الذى يقصده الأستاذ الغمراوى بالفزع ؟ وما شأن الدين بكل شىء يتصل بالأدب الحديث الذى يسعى إلى التجديد والنهوض وتوسيع أفق الحياة الأدبية وإخراجها من عصر الاجترار والتخلف ، إلى عصر التمثيل والحيوية ؟

وإذا كان الأستاذ الغمراوى يقول فى مقاله الآنف الذكر :

« إن الفطرة كاما ينشئها واحـد هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والدين كلاهما قد اجتمعا على استحالة التناقض فى الفطرة ، فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما زعم أهلها وجب ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة دين الاسلام فى شىء ... »

وهو بذلك يريد أن يحدد مفهوم الأدب ، فما نصنع إذن بالأدب الذى أقره العالم كله واعترف به أدباً سامياً ولم يكن مصدره الدين الاسلامى ، والذى لم يخلفه أدباء مسلمون ولم يأتلف مع قواعد الدين الاسلامى فى شىء ؟ أقول ماذا نصنع بأدب طاغور ، وملتون ، ودانتى ، وتورجنيف ، وإيبانيز ، وابسن ، ومورياسان ، وغوركى ، وهاردى ، وجيتى ؟ ... بل ماذا نصنع بأدب بودلير ، وفرلين ، ولورنس ، وجويس ، وهيكسلى ، ولوتى ؟ هل نرمى بهم فى البحر أم نعترف

بأدبهم؟ وهل يتفق أدبهم مع الفطرة؟ وهل هو خير أم أدب الرافعي؟

وحضرة الأستاذ يذكر أدب الايمان فهل يرى أن الشك لا أدب له؟ وما قصده من التعريض بالايمان، والشك؟ والحوم حوالى الدين فى كل مناسبة عرض لها فى نقده وبحثه أدب العقاد والرافعى؟ هل يريد أن نفهم من أقواله تلك أن العقاد ومن يرى رأيه ملحدون لا إيمان ولا نور لهم يهتدون به؟ وكيف يتسنى له أن يحكم هكذا بدون تدليل؟

سيدى الأستاذ:

إن الأستاذ النمراوى — وقبله الأستاذ الطنطاوى — يريد أن يضع ما اسمه «الأدب» على الرف ويريد أن يدخله فى بوتقة الدين بوجه عام، والدين الاسلامى بوجه خاص، وفى هذا من الجناية على الأدب مقدار ما فيه من التجنى على الدين وأكثر. ولا أظن الأستاذ يخالفنى فى أن موضوع الدين موضوع شائك جداً لم يتعرض له متعرض سلم من تهمة المروق؛ فليفسر موقفنا كيف شاء، وليسمه نزعاً وهلماً، فالحق أن الدين الاسلامى لم يدخله التأويل والخلاف من كل باب إلا بعد أن أقحم فى غير مجالاته؛ وهو بعد مقحم إقحاماً فى موضوع الجدل هذا

وما دام الأستاذ النمراوى يرى أنه فصل أدبياً فى أمر العقاد ومكانه من الأدب الحديث، فلماذا يريد أن يخرجه من دينه فيقول عنه معرضاً: «إن الرافعى عنده نور يهتدى به ليس عند العقاد؟»

وبعد فليكن الرافعى عند الأستاذ النمراوى ما يشاء له أن يكون، فان ذلك لا يمنع العقاد أن يكون هو الآخر حيث يشاء له الأدب والحق أن يكون. ولسنا نعجب به لشخصه، بل لأنه يؤدى الرسالة عنا؛ فما يقال فيه يقال فينا نحن أنصاره والمعجبين به؛ ولذا أود أن أكرر ماسبق أن قلته وهو أن من الواجب اعتبار الدفاع عن العقاد دفاعاً عن مذهبه فى الأدب وفى الحياة لا دفاعاً عن شخصه، فلسنا نملك حق الدفاع عنه

وتقبلوا تحيات المعجب بكم

«بغداد» عبد الوهاب الأمين



المسرح المصري والطريق إلى إنهاضه

يروق لبعضهم في مثل هذه الأيام من كل عام أن يتحدث عن المسرح المصري وطرق إنهاضه ووسائل ترقيته والأخذ بيده في مدارج النجاح. وقد يكون مثل هذا الكلام مفهوماً إذا صدر عن مجرب كبير أو إحدى الأساطين التي يقوم عليها صرح المسرح في مصر. ولكن من غير المفهوم أن يتصدى للحديث في هذا الشأن لفيف من الشباب كل ما يعرفونه عن المسرح أن الناس يذهبون إليه من أجل اللهو والتسلية! ولا ريب أن الخطر على المسرح قائم من جراء هذه الكتابات التي تسيء إليه وإلى القائمين بأمره أكثر مما تفيد أصحاب الصحف الذين يفضلون أن يملأوا صحفهم بأي كلام (والسلام)...!

كتبت إحدى الزميلات الأسبوعية تقول في لف ودوران إن وزارة المعارف قد عهدت إلى الأستاذ سليمان نجيب بالإشراف على إدارة الفرقة القومية طول غياب مديرها الأستاذ خليل مطران بالإجازة، وأضافت إلى ذلك كلاماً يفهم منه أنها علمت أن الإشراف على هذه الفرقة سوف يعهد به نهائياً إليه، لما تعرفه عنه الوزارة من كيت وكيت...

والغرض من كتابة هذا الكلام واضح، ولا داعي لأن نكشفه؛ ونحن وإن كنا نقدر الأستاذ سليمان وكيل دار الأوبرا ونعرف عنه القدرة على التمثيل الجيد المتقن، إلا أننا نرغب عن نشر أخبار غير صحيحة من جهة، وعن الإساءة إلى بعض الكرامات من جهة أخرى

ولعمري ماذا يجدي وجود مطران أو غيره على رأس الفرقة، إذا كان جسمها ذابلا خائر القوى تنذر حاله بالموت والفناء؟! ماذا يفعل حاكم

الصحراء مع ما قد يكون مشهوداً له به من فروسية وشجاعة إذا أغار على صحرائه جيش وكان هو بلا جيش تتوافر فيه عوامل الكفاح والنضال، أو كان له جيش ولم يكن لديه من الميرة والذخيرة ما يكفل النصر ويؤدي إلى صد الغارة؟

في استوديو مصر

يبذل استوديو مصر جهوداً مشكورة موفقة ليغزو سوق الأفلام المحلية بثلاثة أفلام كبيرة من أفلام الدرجة الأولى، انتهى العمل في اثنين منهما هما: (لاشين) و (شيء من لا شيء)، وأوشك العمل أن ينتهي في الجزء الداخلي من الفلم الثالث وهو فلم (الدكتور). ولن نسبق المناسبة فنتحدث بالتفصيل عن هذه الأفلام وإنما ندع ذلك لحين عرضها، ونكتفي اليوم بأن نقول بأن — ثلاثتها — جديدة الموضوع، حية الاخراج، ولكن أهم ما ينبغي أن نسجله في هذه الكلمة الوجيزة هو أن الأستاذ (نيازي مصطفى) مخرج الفلمين الأول والثالث

ويساعد الأستاذ نيازي مصطفى في إخراج فلم الدكتور الزميل الفاضل الأستاذ أحمد كامل مرسي، وهو من أكثر شبابنا المثقف إلماماً بالشئون المسرحية والسينمائية وقد اشتهر في الأوساط السينمائية لأول مرة، كناقد ذي أسلوب خاص، وذوق خاص، وإخراج خاص يرضى الفن وكذلك يرضى الجمهور ثم اشتهر بعد ذلك بأنه بطل تجربة عملية الدوبلاج الصوتية التي أجريت بنجاح لفلم جاري كوبر في نيويورك

(ناقد قديم)



أخبار سينمائية

هل يستقيل

ترددت فى الأوساط الفنية فى الأسبوع الماضى اشاعة فحواها أن سفر الأستاذ حسنى نجيب مدير استديو مصر إلى أوروبا لم يكن إلا تمهيداً لاستقالته من إدارة الاستديو . وقد حاولنا أن نتحري عن هذه الاشاعة فلم نوفق ولم نسمع ممن سألناهم غير كلمة « يجوز » !

والحق أننا لم نجد مبرراً لهذه الاشاعة . فالمعروف أن الأستاذ حسنى نجيب منتدب لادارة الاستديو ولم يعين مديراً له قط ، وانتدابه يجوز أن ينتهى فى أي وقت تراه شركة مصر للتمثيل والسينما ، سواء أكان ذلك بعد عودته من أوروبا أو بعد شهرين أو بعد عامين ، ولكن ما حيرنا من هذه الاشاعة هو : هل يستقيل من إدارة الاستديو ويبقى فى وظيفة أخرى كسكرتير الاستديو أم يترك الاستديو بتاتاً ؟ والذى سمعناه هو أنه سوف ينقل إلى وظيفة بالبنك وقد نعود إلى الكلام فى فرصة أخرى .

طبعة جديدة من فيلم ليلى بنت الصحراء

سافرت السيدة بهيجه حافظ إلى أوربا منذ أسبوعين وتركت قرينها الفاضل الأستاذ محمود حمدى يؤدى جهود شركة (فنار فيلم) فى الناحية الجديدة التى اختارت أن تكون ميدانا لجهودها هذا العام . ومما ينبغى ذكره أن إدارة هذه الشركة تعنى الآن بادخال تعديلات كثيرة على فيلم ليلى بنت الصحراء وعمل نسخة فرنسية منه لعرضها فى باريس وفى الأقطار العربية التابعة لفرنسا ، أما مهمتها الرئيسية هذا العام فستكون عرض كثير من الأفلام الفرنسية الكبيرة التى حصلت على امتياز عرضها فى الموسم القادم ، وقد يذكر القراء أن شركة فنار فيلم استأجرت استديو ناصيبيان لمدة عام كامل ، فمعنى هذا أن الشركة سوف تستغل هذا الاستديو بطريق تأجيره للراغبين فى العمل به

(السيده بهيجه حافظ)

عودة الثلاثى الفنى

عاد الثلاثى الفنى — آسيا — جلال — مارى كوينى — من رحلتهما فى تركيا ولبنان وسيشرع الأستاذ جلال على الفور فى كتابة السيناريو الجديد الذى سمعنا أنه سيفوق سائر السينارات الماضية رغم أنها كانت جميعاً قوية وناجحة وشهد لها الجمهور شهادة حسنة ونهنىء الأستاذ جلال وباقى الثلاثة بالعودة ونرجو لهم توفيقا كبيراً فى الموسم القادم .



(الثلاثى الفنى : جلال — آسيا — مارى كوينى)

أخبار خارجية

— ظهر (راى ميلاند) فى عدة روايات ناجحة فى الموسم الماضى منها رواية (السفينة الملعونة) . وسيراه الجمهور المصرى فى سينما رويال فى رواية (الضوء الذى خبا) ومن طريف ما نذكره أن راى مثل فى هذه الرواية دور رجل أعمى ، وقد اضطر من أجل إتقان دوره إلى معاشرة رجل ضرير لمدة ثلاثة شهور درس فيها نفسية الأعمى وحركاته وخاصياته وأعطاه في نظير ذلك خمسمائة جنيه !

— ومن أشهر الأفلام التى تعرضها رويال للمتروجولدوين ماير فى هذا الموسم رواية (مارى انتوانيت) التاريخية الكبرى ويشترك فى تمثيلها (نورماشيرر) والنجم اللامع الشاب (تيرو ماباور)

— وتعرض برامونت للنجم الهزلى الشهير (هارولد لويد) فلما فكاهيا جديداً اسمه (كن على حذر أيها المدرس !)

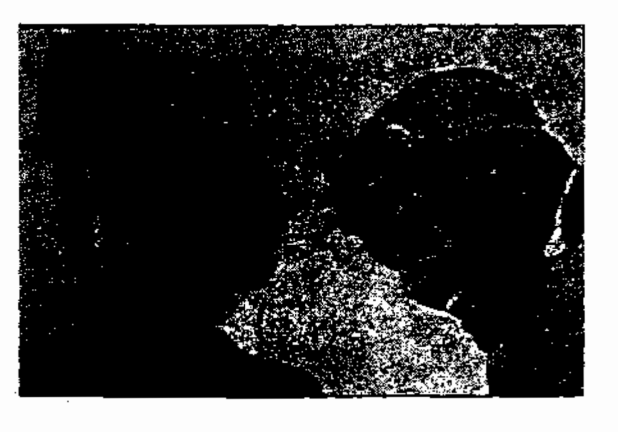
— لما رأي دوجلاس فيربانكس الصغير رواية (طالب فى اكسفورد) أرسل برقية إلى النجمة (بربارا ستانويك) يقول فيها « أنا لا أعرف روبرت تايلور ولكن أحب أن تبينى له كم أعجبت بنبوغه فى تمثيل الدور وتهنيئه باسمى » وتصادف أن النجم كان يتناول العشاء مع بربارا ، وقت وصول البرقية فرد عليه ببرقية يقول فيها (وصل الشكر ... أشكركم) !

— يعود (كارل بريزون) إلى الشاشة بعد غياب عامين ونصف فيقوم بالدور الأول فى رواية (كلود دوفال) ، وآخر فيلم له كان من إخراج البرامونت وكانت تدعى (قهوة فى سفينة)

(كارل بريزون)

— انتهى النجم (ريكارد وكورتيز) من إخراج أول رواية عهدت إليه باخراجها استيديوات فوكس القرن العشرين واسمها (فرصة عملية للغاية) وقد حصل كورتيز من إدارة الشركة على عقد بمقتضاه يحق له أن يشتغل مؤلفا ومخرجاً وممثلا

— من افلام المتروجولدوين الكبيرة التى تعرض هذا الموسم رواية (امتحان الطيار) ويقوم بتمثيل الدور الأول فيها معبود السيدات كلارك جابل وتشترك معه فى تمثيلها (ميرنا لوى)



(كلارك جابل وميرنا لوى)